٤
إليك يا أبتاه..

إليك يا أبتاه.. وإلى كل أب.. إليك يا مَن تحمل بين جوانحك دفء الأبوّة ونسماتها الرقيقة. والأبوّة هي تلك النفحة الربانية، والعطية الإلهية، والنعمة المَرْضية.. إنها عطاء بلا حدود، وتضحية دون مقابل إلا من ربنا المعبود.. إنها النهر المتدفق بالحب والوداد والإيثار والجود.. وأنت يا أبتاه بطل هذه المعاني وهذه الكلمات. نعم.. فلولاك – بعد الله– ما جئنا لهذه الحياة. وبقلبك الحاني وحبك الكبير أنت لنا قارب نجاة في لججها المظلمة، ومصباح إنارة وسط ظلام التيه، وشمعة إضاءة تتلألأ فتكشف لنا الطريق بصبرها، ولو أدى إلى احتراقها! حق لك علينا يا أبي أمام الله البر والطاعة، والدعاء بضراعة، لأنك باب من أبواب الجنة عظيم، فتحه الله للأبناء كما قال لنا النبي ﷺ: «**الوالد أوسط أبواب الجنة فإن شئت فأضع ذلك الباب أو احفظه**» [الترمذي]. فأبشر يا والدي فأنت أعظم عندي من كنوز الدنيا جميعا، وإن قلبي لينبض بحبك، ولساني ما فتيء يشكرك، ومهما فعلت وفعلت فلن أوفيك بعض حقك، وما أنصف ابن أباه جعله ندّا له فعامله بجفاء، أو رفع صوته عليه، أو استعلى واستكبر، أو بخل وأدبر، وإذا ما بلغ والده من الكبر عتيّا لم يكن له ولدا مرضيا، ونسي فضل أبيه عليه أو تناساه، وظن أن ذكاءه قد وصل منتهاه، وهو في الحقيقة عاقّ جحود سينال عاقبة جحوده في دنياه قبل أخراه. وما أنصفوك يا أبتاه حين أخرجوك، وفي دور المسنين وضعوك أو ألقوك، ومن عطفهم المزيّف حاولوا أن يلبسوك! وما أنصفوك حين جهلوا حقّ الوالدية، وأنها درجة عالية غير عادية.

هل أنت راض عني؟

أبشر يا والدي فإن رضا ربي في رضاك عني، وقد وصاني الله بك وأنزل في حقك قرآنا يتلى إلى يوم الدين، فقال: ﴿**وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا**﴾، وشرفك بأن جعل رضاك سبيلا

obeikandl.com

إلى الجنة، فقال رسوله الأمين ﷺ: «**رضا الرب في رضا الوالد وسخط الرب في سخط الوالد**» [الترمذي]. لذا فإني أتمنى أن ترضى عني فلا تسخط، وأن تفرح بي يا حبيبي فلا تحزن، وأن أكون قرة عين لك في الدنيا والآخرة.

أبي.. أنت قدوة لي.. وأب وأخ وصديق..

أبتاه.. لقد عودتني منذ الصغر أن أبوح لك بمكنون قلبي، وما يعتلج بنفسي، وجعلتني صديقا لك تصدقه وتصاحبه، وأخا صغيرا تحبه وترحمه، وترعاه وتقربه، كم أنا أحبك يا أبي وأشعر بمنة الله عليّ إذ وهبني أبا مثلك، وكم أتمنى أن يكون جميع الآباء كأبي في برّ أبنائهم، لكنني للأسف أرى بعضهم – من خلال معرفتي بأصدقائي– لا يرفقون بفلذات أكبادهم فيعقّونهم من حيث لا يدرون، فمنهم من يقسو على ولده ويغضب عليه لأتفه الأسباب ويهينه أمام الناس دون أن يرعى له حرمة شعور أو صيانة نفس، فيعامله وكأنه طفل رضيع لا يدرك! بل إن منهم من تتعدى قسوته مداها فإذا به لابنه يضرب، بسبب وبغير سبب هو ضارب وكأن الضرب لغته والقسوة ديدنه، ونسي أو تناسى ما قاله معلمنا الأعظم ﷺ: «**إن الله تعالى رفيق يحب الرفق ويعطي عليه ما لا يعطي على العنف**» [البخاري]. قد يكون الابن مخطئا، بل بالتأكيد هو كذلك على الأقل في نظر والده، لكن هذا الفعل من أبيه معه لا يصلحه، بل ربما أفسده بقسوته تلك التي تلبس لباس الإصلاح كما يزعم، فتقتل في ابنه نفسه كإنسان، وتنزع من قلبه العطف والحنان، خاصة حينما يسمع أباه يردد دون أن تأخذه لومة لائم فيقول ابني وأنا حُرّ فيه! أفعل معه ما أريد وأربيه كما أشاء، وكأنه يتعامل مع قطعة أثاث في بيته ليس لها روح أو مشاعر وأحاسيس! وغفل هذا الأب وأمثاله عن وصية النبي ﷺ: «**عليك بالرفق، فإن الرفق لا يكون في شيء إلا زانه، ولا ينزع من شيء إلا شانه**» [مسلم]، وأنه «**إذا أراد الله بأهل بيت خيرا أدخل عليهم الرفق**» [البخاري]. أمّا أنت يا أبي فإنك عظيم وكم أنا أحبك حقا! نعم.. فلقد أوتيت –بفضل الله– فقها في التربية، ونضجا في الفكر، ورفقا في النصيحة، ورقيا في الحوار، أحبك إذ ترفق بي في أمري كله قدوة بسيد البشر عليه الصلاة والسلام القائل لنا: «**إن الله تعالى يحب الرفق في الأمر كله**» [البخاري] وأكون أسرع استجابة لأمرك حين تكون قدوة طيبة لي،

obeikandi.com

لتبني بين قلبينا جسورا من الثقة المتبادلة والتواصل المستمر، فأراك تأمرني بالصلاة لكنك تذهب إلى المسجد معي وأحيانا قبلي، وتنهاني عن شرب الدخان بامتناعك أنت عنه وإعلان بغضك له، وبيان حكمه لي بعد ثبوت ضرره، فيدخل حديثك قلبي ويتسلل إلى نفسي رغما عني وبلا جهد مني، ولو رأيتك لا تصلي لما كان لقولك الأثر الطيب في نفسي، ولو كنت تدخن أنت ثم تنهاني عن التدخين ما انتهيت ولو أنشدتني القصيد في ضرره، أو ضربت لي الأمثلة في خبثه، ولو حاولت إقناعي بشتى الطرق لداخلني الشك في أمره ما دامت السيجارة تتوهج في فمك، وعلبة السجائر تقطن في جيبك.

لا بد من وجود حلقة تواصل بين الآباء وأبنائهم..

وحين تغيب القدوة الطيبة من الآباء لبنيهم، فإن حلقة التواصل بينهم تكان تكون مفقودة أو ضيقة، وأذكر لقد رأيتها في زميل الدراسة فعلا حين كنا في مرحلة البلوغ الحرجة وهو يدخن سيجارته لا يتوارى بها عن أعين الناس، بينما يخفيها عن أبيه ليكون أبوه بعد ذلك آخر من يعلم! وحينما عاتبته قال ببساطة شديدة: إن أبي يدخن فلماذا لا يريد مني أن أكون مثله، ألستُ رجلا؟! إن لسان حاله هو وأمثاله من الشباب في مثل عمره يقول لأبيه أرجوك يا أبي كن قدوة لي وساعدني، فلا تنهني عن التدخين ولا زالت رائحة الدخان في فمك وملابسك، ولا تدعوني إلى الصلاة وأنت مشغول عنها مفرط فيها، ولا تحذرني من إضاعة وقتي وأنت جالس أمام التلفاز ليل نهار أو على المقهى أو مع ثلة الصحاب. تأمرني بحضور مجالس الذكر وحفظ كتاب الله وأراك لا تذهب لأنك كبرت وفاتتك الفرصة كما تقول، أو أنك مشغول متعب، ودون جهد مني يا أبي أجد عملك منقوشا على جدران قلبي، ودون وعي مني أيضا أراني أنهج نهجك وأسير على دربك، فأرجوك يا أبي كن قدوة حسنة لي، ومُرْني بفعلك فذلك أدعى لقبول قولك والعمل بأمرك. وعاملني يا أبي كرجل، فأنا لم أعد ذلك الطفل الرضيع غير المسئول الذي يحبو على بطنه، أو الذي يمشي على قدميه فيقف حينا ويتعثر حينا، بل لقد كبرت يا أبي وصرت رجلا تفتخر به أمام أصحابك إن أردت، لم أعد يا أبي ذلك الطفل الصغير ناقص الأهلية في مرحلة طفولته حيث لا يفكر إلا بعقله مع عقل أبيه ولا يهتدي برأيه، بل برأي

أبيه، ولا يقدم رِجْلا ولا يؤخرها إلا بإذن أبيه، وهذا لا يعيبني طفلا. أما الآن فقد صرتُ إنسانا مسئولا يا أبتاه أمام الله ثم أمامك وأمام الناس والمجتمع كله، وبالتالي زادت واجباتي تجاهك وآن الأوان لأن أكون رجلا أردّ لك بعض الجميل. لكني يا أبت كلما حاولت ذلك تصدني أنت عنه وتراني ذلك الطفل الذي يعتمد عليك في كل صغيرة وكبيرة، فلا تريد أن أقطع أمرا بسيطا دون الرجوع إليك ولا أتخذ قرارا سهلا دون الاعتماد عليك، وإن فعلت غضبت مني وظننت أني استغنيت عنك وأني لست بحاجة إليك، فكيف أستغني عنك يا حبيبي؟! وهل يعيش الإنسان دون ماء أو هواء أنت بالنسبة لي هما الاثنان معا؟!. لماذا تثور عليّ إذا ما أخطأت، وتصيح في وجهي إذا ما خرجت، وتغضب مني إن لم أكن نسخة طبق الأصل منك، كيف وقد جعل الله تعالى التنوع والاختلاف سمة في هذه الحياة وذلك يثريها ويجددها، ولم يخلق فيها نوعا واحدا ولا لونا واحدا، بل وما جعل لشخص بصمة أخيه ولو كان توأمه، فهل يعيبك أو يعيبني أن يدلي كل منا برأيه في الأمور الخاصة بحياتنا معا، وهل ينقص من قدرك أن نكون معا كالصديقين قلبا وعقلا وفهما، وقولا وحوارا وفكرا، مع احتفاظك بدرجة الأبوّة التي تتطلب منك وعيا أكبر، وهيبتها التي توجب لك توقيرا أعظم، ومكانتها التي تؤدي إلى احترامك وبرّك، وإن ذلك القرب لا ينقص منها شيئا بل على العكس ينميها ويقويها.

أعطني فرصة يا أبي..

نعم أعطني فرصة لنتكامل لا لنتصارع، لماذا لا نتحاور، ولِمَ لا نتشاور، لماذا لا يدلي كل منا برأيه لنتفق في النهاية، إن هذا لا يقلل من شأنك ولا ينقص من قدرك فقدرك عندي كبير، فقط أريدك أن لا تتمسك برأيك وتهمل رأيي أو تسفهه، أريدك أن تحاورني وتناقشني ونتجاذب معا أطراف الحديث، فلا زلت أتعلم في مدرستك الراقية. إنني يا أبي أعلم أن قراراتك صائبة وأن رأيك سديد لكني أتمنى أن تترك لي الفرصة في تنمية رجولتي، في إثبات ذاتي، وتفسح لي طريق إظهارها حتى أستطيع مواجهة الحياة إن قدر الله لي ذلك في يوم من الأيام، لكنك في كثير من الأحيان لا تتيح لي ذلك، يدفعك حبك الكبير لي وخوفك الشديد عليّ. وإن انكمشت فلم أوافقك الرأي مرة أشعرتني بالنقص

obeikandl.com

وبأنك في حاجة إلى الراحة من عناء المسئولية الملقاة عليك، ومعك الحق يا أبي فإن من حقك أن ترتاح بعد كل هذه السنين من التعب والجهد المتواصل، بل وتجني ثمرة تعبك، فقط أعطني الفرصة لأثبت لك أنني أصبحت رجلا يعتمد عليه. أريد أن أعتمد على الله وأتخذ قراري بنفسي بعد أن نتشاور معا وأستأنس برأيك وأنتفع بنصحك، أريد أن أدخل الجامعة التي أرغبها، وأدرس التخصص الذي أحبه، وألتحق بالوظيفة التي أريدها، وأتزوج الفتاة التي اخترتها، فهل في ذلك عقوق لك يا أبتاه؟

رفقا بي يا أبي.. وقبل أن تعاقبني عاتِبني..

أعطني نصيحتك يا أبي مغلفة بحبك، وأضْفِ عليها عطفك، وزَيّنها بحضنك، لا أرغب في نصيحة على الملأ تفضحني، ولا في قول تريق به أمام الصحاب ماء وجهي، وكما قيل من وعظ أخاه سرّا فقد نصحه وزانه، ومن وعظه علانية فقد فضحه وشانه. وأنا ابنك يا أبي وأحب الناس إليك. أريدك يا أبي أن تنصحني برفق دون أن تثور وتقول لماذا فعلت كذا ولماذا قلت كذا أنت لا تفهم وأنت... وأنت... ، فعلمني الصواب يا أبي برفق، وقبل أن تعاقبني عاتبني، وبين لي الخطأ دون غضب منك عليّ حتى أتعلم وأعمل ما يسرك.

أنا أعلم أن ضغوط الحياة عليك كبيرة ينوء كاهلك فيها بحملي أنا وإخوتي والإنفاق علينا جميعا، وكم أتمنى أن أجد عملا بعد دوامي في دراستي يزيح عنك بعض العناء والتعب لكنك ترفض، وبنفسك السخية المعطاءة التي تفيض بحب الأبوة تريدني فقط أن أذاكر وأنجح، وأتخرج وأتفوق، ومهما عملت في آخر النهار فإنما هي دراهم معدودة أنت فيها من الزاهدين، فقلبك كبير، وواجبك كأب يحتم عليك أن تعولني حتى أعمل، وتساعدني إن استطعت حتى أستغني، وتعفني بالزواج لأحصن نفسي، وهذا بعينه هو ما تفعله معي قدر استطاعتك وهذه ضريبة الأبوة يا أبي و«لا يكلف الله نفسا إلا وسعها»، فلا تشعرني في لحظات تعبك وهمك بنقصي لإنفاقك عليّ، أو ندمك على ما قدمته إليّ، وأتمنى أن يأتي اليوم الذي تراني فيه ناجحا فتقر عينك بي وتسعد بنجاحي، فأردّ لك بعض جميلك عليّ ومهما فعلت وقدمت لك فلن يكون قطرة من معين عطائك وحبك.

obeikandi.com

همسة في أذن كل أب..

أيها الأب الحاني.. إن مهمتك عظيمة جدا، وأولادنا ثرواتنا التي ننميها وندخرها كنوزا عند الله، وأنت الآن لا زلت تجمع كنزك فحافظ عليه، احفظه من اللصوص أن يسرقوه منك، واحمه من قطاع الطرق أن يسلبوك إياه، أكثر مادته النقية بهمة ورصِّع جواهره الثمينة بدقة، وزد في صيانته بإتقان، واحتط في حفظه بأمانة، وأصلحه برفق، وانظر إلى حائك الثياب وهو يترفق بالثوب يسدّ خروقه بإبرته الصغيرة بصبر وعناء، ودقة وحنكة ليعيد منه ثوبا نافعا بعد إصلاح عيوبه وكن مع ولدك في الصبر والرفق والإصلاح مثله. لا تفسده بإهمالك فتخسر وتفلس في وقت أنت في أشد الحاجة إليه. قال رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» [مسلم].

أخي الأب..

أنت المربي الحنون لولدك في الصغر، ومهمتك جليلة القدر كبيرة الأجر إذا أخلصت النية فيها وهي مسئولية تامة كاملة شاملة وعلى رأسها تنشئته على الإيمان بالله والعقيدة الصحيحة، وهي امتداد لمهمة الأنبياء والمرسلين فلا تستهن بها، وأدّب ابنك فإنك مسؤول عنه ماذا أدبته وماذا علمته، وإنه لمسؤول عن برك وطواعيته لك، وحصّنه بالعلم الشرعي فهو الدرع الواقي له في غمار هذه الحياة بتطوراتها وتجدد ما فيها، وشجّعه على أن يكون عنصرا فعالا في مجتمعه يشارك في إصلاحه والمحافظة عليه بأعمال الخير في مجالاته المختلفة، ولا تنسَ أهمية المصارحة والتواصل بينك وبينه فاجعل له من وقتك وقلبك مساحة للبوح بمكنون قلبه وما يعتلج فيه دون تعنيف أو صدود، واتبع السبل الوقائية والعلاجية في التربية كاستخدام الحوار والمناقشة واستماع الآراء، وكن راقيا في النقاش والإقناع مع ربط ذلك بالدين والواقع، وأعطه الفرصة ليستفيد من خبرتك دون تصادم بينكما.

التجديد والابتكار والارتقاء للأفضل في الفروع والجزئيات يتطلبه العصر في هذه الأيام ما لم نتعرض فيه لأصل منهجنا الثابت القويم، فشجع ولدك عليه وانتبه إلى ما قاله

obeikandl.com

عمر بن الخطاب رضي الله عنه «أحسنوا تربية أولادكم فقد خلقوا لجيل غير جيلكم».. وانظر إلى ما يحدث في حياة البشر من التغير في حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية فاضبط ولدك بالقيم الثابتة كي لا يجرفه هذا التغير فيحيد عن سواء السبيل.

وأخيرا.. أذكّرك بقول الأحنف بن قيس حين سأله معاوية رضي الله عنه عن الولد فقال له: يا أمير المؤمنين هم عماد ظهورنا، وثمر قلوبنا، وقرة أعيننا، بهم نصول على أعدائنا، وهم الخلف منا على من بعدنا، فكن لهم أرضا ذليلة، وسماء ظليلة، إن سألوك فأعطهم، وإن استعتبوك فأعتبهم، لا تمنعهم رفدك فيملوا قربك، ويكرهوا حياتك، ويستبطئوا وفاتك.

***

obeikandl.com

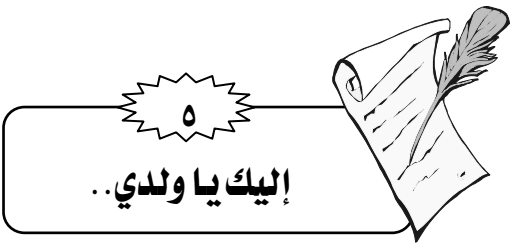

٥
إليك يا ولدي..

إلى ولدي وحبيبي..عطر نفسي.. وفلذة كبدي.. إلى مَن رزقني الله تعالى به وأقرّ برؤيته عيني فكانت لها دواء ولنورها جلاء، ولمرضها شفاء. إنها رسالة من قلبي المحب يهديها لحبيبه وقد بلغ حبه منه مبلغا عظيما اختلط فيه بجسدي كله، دمي ولحمي وعظامي فصار جزءا لا يتجزأ منه، حب فاض حتى بلغ من القلوب شغافها! ذلك لأنه عندي أجمل وأرق نسمة، وأفضل وأطيب عطر، وهو الزهرة اليانعة التي تجمّل بستان حياتي المزهر به، وبدونها يكون ذابلا مصفرا ما يلبث أن يصير حطاما تذروه الرياح.. إنها رسالة أبعثها حبا وشوقا، ورحمة وتحنانا لولدي.. كسبي وذخري في حياتي، وعملي وزادي بعد مماتي.

أتعرف ما هي البنوّة يا ولدي؟

إنها النعمة التي امتن الله تعالى بها على عباده فقال لهم مذكرا: ﴿**وَاللهُ جَعَلَ لكم مِن أنفسِكم أزوَاجا وَجَعَلَ لكم مِن أزوَاجكم بَنِينَ وَحَفَدَة وَرَزَقَكم مِنَ الطيبَاتِ**﴾ [النحل: ٧٢]. وهي زينة الحياة الدنيا كما قال عز وجل ﴿**المَالُ وَالْبَنُونَ زينة الحَيَاةِ الدنيَا**﴾ [الكهف: ٤٦].. إنها امتداد لعمري واستمرار لعملي، أخرِجُ فيها مكنون قلبي الذي فطره الله عز وجل على حب الولد والتشوُّف إلى الأبوّة، أتعْرِف يا ولدي كم من العمر قضيته أفرغتُ عليك فيه من حبي وعطفي، وألبستك فيه ثوب عطائي وبذلي، ومنحتك معه صيانتي وأدبي، لتصير فيما بعد إنسانا صالحا، مرفوع الهامة، قوي البنية، ثابت الجنان، يُشار إليه بالبنان.. حتى إذا ما بلغتَ أنت مرحلة الشباب وبلغتُ أنا مرحلة الكهولة والشيخوخة كنت لي الصاحب في غربتي، والأنيس في وحدتي، والسند عند ضعفي، تبدد أحزاني بقربك مني، وتزيل مخاوفي بحبك لي، وتعينني على نوائب الدهر بقلبك الحاني، فتكون لي

obeikandl.com

اليد إذا ما كلّت يداي، والعين إذا ما ضعفت عيناي، والسند متى ما وهنت الرِّجلان، وتلك كلها مجتمعة في وصية ربنا الرحيم الرحمن حين قال: ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلاَهُمَا فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ۞ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ [الإسراء: ٢٣-٢٤].

كم أحنيتُ لك ظهري يا ولدي لتمتطيه..

فلعلك لا تذكر يا بنيّ وأنت صغير كم من الوقت كنت أقضيه معك أحكي لك القصص وألعب معك باللعب، وكم اتخذتَ من ظهري جوادا، ومن شعري لجاما، كم جعلت من حجري سريرا، ومن كتفي مقعدا، ومن رقبتي مُرتقى، وكم من المرّات مسحتُ عنك الأذى بيميني فلم أتأفف، وإذا ما مرضتَ فأنا المريض المتململ ليله ونهاره أودّ أن أفديك بمالي كله بل بروحي ونفسي، فتذكّر ذلك يا ولدي، وانظر إليه بعين القلب إذا ما بلغتُ من الكبر عتيا و«وهن العظم مني واشتعل الرأس شيبا» فكن لي كما كنتُ أنا لك، واحذر التطفيف أو الميل، واعلم أنه كما تدين تدان.

لقد ربيتك لتكون نموذجا ومثالا للمسلم الحق..

أنت عندي يا ولدي أغلى من نفائس الدنيا جميعها، فلا تظن يا بني حين آمرك بأمر أو أستدرك عليك في فعل أنني أريد أن أسلبك معه راحتك أو أحرمك فيه حريتك، بل على العكس تماما، إنما أريد بناء شخصيتك وصقل مواهبك، وإثراء ساحتك بنقل تجاربي إليك، وأنا ما ربيتك إلا لتكون نموذجا ومثالا للمسلم الحق، حُرّا في اختيارك وحُرّا في تصرفاتك وحُرّا في قرارك، على أن تحيط سياج هذه الحرية بشرع الله حتى لا تشطط بك بعيدا، فكن مطمئن النفس وخذ مني نصيحتي واقبلها بحب، فلن تجدها من قلب هو أخلص لك مني فيها، وكن خير ابن لأبيه في قبولها، ولا تأخذك العزة بالإثم إذا ما أخطأتَ، أو تذهب بك الظنون بعيدا فتتهم أباك بما ليس فيه، وتأخذك إلى مسميات تظن أنني أحرمك منها كالرجولة والحرية والاستقلال وما شابهه من مصطلحات العصر، أو ما يسميه البعض بتصادم الأجيال وهذا غير صحيح، إنما هو وَهْم صنعه العقوق ونكران

الجميل وحب الذات، والحقيقة يا ولدي أنه تكامل للبناء، ألم ترَ أنها أجيال من لدن أبينا آدم عليه السلام يسلم بعضها بعضا القياد، وكل جيل يخلف مَن سبقه ويأخذ منه الفائدة تامة خالصة ويضيف عليها ما عنده، فيأخذ حسناته وإيجابياته، ويتفادى أخطاءه وسلبياته، ويكمل مسيرته التي بدأها، ليحمل راية البقاء ويحفظها من الضياع ثم يسلمها لمن يليه، فالكل يشارك في حمل الأمانة وحفظها، وهذه إرادة المولى عز وجل.

تذكّر يا بنيّ حَقّ الوالدية..

لا تظن يا بنيّ إذا ما قسوتُ عليك يوما أني لا أحبك، بل من أجل محبتي لك وخوفي عليك قسوتُ، ولو كان بيدي أن أهَب بعض عمري لأحد من الناس ما وهبته إلا لك، إنني يسعدني ما يسعدك ويقلقني ما يقلقك، وأتمنى أن نكون أصدقاء نتناجى معا فيُسِرّ كل منا للآخر ما في جعبة قلبه من خواطر وهواجس، ويُفرغ كلانا همومه ومخاوفه، ويشارك صاحبه أفراحه وأتراحه، أنا لا أطلب منك أن تكون كتابا مفتوحا أمامي أطلع فيه على كل صغيرة وكبيرة، فمن حقك أن يكون لك ما تحتفظ به لخاصة نفسك، لكني فقط أريدك أن تشعرني أنني لا زلت موجودا في حياتك، مأوى تأوي إليه، وحضنا تستدفيء به، وعمودا تستند عليه، ومعينا للعطاء والحب، لا أن نكون كالغرباء لا يدري أحدنا عن الآخر شيئا إلا القليل لأنك قد كبرت وصارت لك خصوصياتك أو حياتك الخاصة كما تقول، وتنعزل عني وتنأى، وقد اعتكفت بغرفتك، أو انشغلت بولدك وزوجتك، واكتفيت بهاتفك الذي ينقل لك الأخبار، ووجدت البديل عني بالحديث مع الأصدقاء مباشرة أو [عبر النت] وما شابهه، وقتلت وقتك وقتلتني معه بغير سكين، وغلقت على نفسك أبواب قربي منك، وكأني لم أكُ في يوم من الأيام مَحَلّ نصحك وموضع سرّك ومستشارك الأمين، فهل استغنيتَ عن الاستئناس برأيي أم فقدتَ الثقة بي، أم لم تعد بحاجة إليّ بعد أن ترعرعت وصرت شابا فتيا، ورأيتني «وقد بلغتُ من الكبر عتيا»، وحين أطلب قربك مني وأشتاق لحديثك معي تتعلل بدراستك أو عملك، أو بزوجتك وأولادك وبيتك، إنني أراك تخرج وتدخل متى أردتَ، وتذهب أينما أحببت دون أن تلقي لي بالا، ألستُ جزءا من اهتماماتك أو في قائمة أولوياتك؟

أعطني بعض وقتك إيناسا لي..

في الحقيقة يا ولدي أن بعض الأبناء يعطون أصدقاءهم من أوقاتهم أضعاف ما يعطون آباءهم الذين فنيت أعمارهم في سبيل إسعادهم، فلما قويت أجنحة هؤلاء الأبناء واستطاعوا الطيران إذا بهم يطيرون عنهم وهم أحوج ما يكونون إليهم، وإن هذا لمؤلم ومؤسف حقا. وإنني لأعجب من هؤلاء الأبناء حين يتسامرون مع أصدقائهم ويضحكون ملء أفواههم ويسهرون جل ليلهم ثم ينامون ملء جفونهم وكأن شيئا لم يكن، وإذا ما احتجّ عليهم آباؤهم قالوا بكل بهدوء أو بكل بعصبية لسنا صغارا! وقد يصل الحال ببعض الأبناء أن يجحدوا فضلهم فيخرجوهم من بيوتهم ربما ليتزوجوا هم فيها، ويكون مأوى الأب المغلوب على أمره السكنى في دار المسنين، بعد أن يُهَجَّرَ إليها رغما عنه من أرض بيته ومأوى ذكرياته وإن أظهر رضاه إرضاء لولده! فكيف يطيب لهؤلاء الأبناء عيش بغيرهم، أو يهدأ لهم بال مع إبعادهم!

يا بنيّ.. إنما أريد لك الخير لا غير..

فكن ذا خلق كريم وقدّر أبوّتي، وتذكر أنني أحبك أكثر من نفسي، فإذا ما اقترحت عليك أن تدرس كذا أو تعمل في وظيفة كذا أو تتزوج من فلانة، فأنا يا ولدي لا أقصد أن أفرض سيطرتي عليك أو أنزعك حقك فيما تريد، إنما هو واجب النصيحة عليّ، وأنا أعرف ميولك منذ صغرك وأحاول تنميتها لك، وعلى كل حال فإنما أنا لك ناصح لا غير، ونصيحتي غير ملزمة، فقط كن صبورا معي فإما أقنعتك بوجهة نظري أم اقتنعت أنا برأيك ولا تغضب مني لمجرد ذلك، فإنني أتمنى أن تكون أفضل مني وأنا أرى فيك صورة شبابي وقد تجددت، فلا تلُمني يا ولدي، ولا تظن بي إلا الخير الذي أريده لك.

يسعدني منك يا ولدي..

- أن تهتم بنفسك فتقوّمها وتلجمها بلجام التقوى وتحصنها بالعلم الشرعي، وأن تكون طالب علم تنفع به نفسك وغيرك تتفوق وتتميز فيه على سائر أقرانك، وأن تصاحب الصالحين وتجالسهم وتتعاون معهم على فعل الخير.

- أن تحافظ على صلاتك - خاصة صلاة الفجر- وتؤديها في وقتها، كاملة الأركان

obeikandi.com

مستوفية الشروط، مزيّنة بالخشوع، وأن تهتم بعباداتك وتتخلق بأخلاق الإسلام العالية، وتصاحب كتاب الله وتعيش معه كل يوم تأتمر بما فيه وتنتهي عن نواهيه.

– أن يُرَى أثر الإيمان في قولك وفعلك، وفي سكونك وحركتك فتبرّ أمك وأباك وتصل أرحامك وتحب أخاك، وتكون قويا في إيمانك قويا في جسدك تمارس الرياضة وتشجعها لكن دون عصبية أو عنف، تحرص على وقتك وتحفظه وتنفقه فيما ينفعك وينفع الناس.

– أن تكون ليّنا في قولك باسم الوجه حلو المنطق، تنظر لَمن هو فوقك في الدين ولا تنخدع بدُنيا السراب، تدعو إلى الله عز وجل وتأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر بلطف ولين، وتنبذ العنف والتنطع في الدين، ولا تتعصب لمذهب أو شخص أو فئة من الناس.

– أن تكون رجلا شكلا ومضمونا فتهتم بمظهرك دون تكلف أو مبالغة أو تشبه بالنساء، وأن تتواضع للناس ولا تظن أن لك فضلا على أحد منهم، وأن تحب المساكين وتعطف عليهم ولا تتكبر على الفقراء.

– أن تغض من بصرك، ولا تفتتن بكثرة الشهوات من حولك، وأن لا تسرف في استخدام المحمول والإنترنت والفضائيات، وأن لا تمارس لعبة معاكسة الفتيات فما هكذا يفعل الرجال، وأن تتزوج بذات الدين ولا تتنازل عنها مهما تكن الأسباب.

– أن تثبت على قيم دينك وأخلاقه وأن تحذر دعاة التحرر من كل شيء بدءا بالملابس الحافظة للبدن الساترة للعورات إلى الدين الحافظ للقلوب والأرواح، فلا تتشبه بكل ناعق، ولا تتحرر من كل قديم، بل يكون هدفك أسمى من التقليد الأعمى والجري وراء الموضة وقصات الشعر، فتكون ذا بصر وبصيرة لما يُحاك ضدك تحت مسميات براقة تحمل بين طياتها السُّم الزعاف.

– أن تتعلم ممن يكبرك، وتأخذ الفائدة من تجاربه في الحياة فذاك كتاب مفتوح وجاهز أمامك، وتشارك في صنع نهضة أمتك ورقيها في ظل شرع الله، مثلك الأعلى في كل ذلك، وقدوتك الأولى سيد البشر ﷺ.

obeikandl.com

أفعال مرفوضة تجاه الوالدين..

- التأفف والضيق عند حاجة الوالدين أو كثرة مطالبهما ورفع الصوت عليهما والصياح في وجهيهما، قال تعالى ﴿ **فَلاَ تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا** ﴾، وعدم إجابة نداءهما أوالتأخر فيه، مع ترك خدمتهما والتنصل من المسئولية تجاههما كعدم الإنفاق عليهما إذا احتاجا أو التقتير والبخل في النفقة، وإزعاجهما وإثارة القلق لديهما بطول السهر خارج المنزل دون ضرورة، أو تفضيل الزوجة والأولاد عليهما، والملل من سماع حديثهما وتسفيه آراءهما والتعالي عليهما والنظر إليهما نظرة دونية، والقسوة في التعامل معهما في سن الشيخوخة، وعدم الصبر عليهما، وعدم شكرهما، وعدم احترام صديقهما، وقطع أرحامهما وترك الدعاء لهما أحياء وأمواتا.

***

obeikandl.com

٦
إلى كل فتاة تحب الله..

أتدرين يا درّة الإسلام، ويا جوهرته المصونة، أتدرين مَن أنت؟ أنت ابنة اليوم، وزوجة الغد، وأمّ المستقبل، ومربية الرجال والأجيال.. أنت الدرّة المصونة التي رعاها الإسلام وحرص عليها، والجوهرة النفيسة التي رفع من قيمتها رسول الله ﷺ حين أوصى بها فقال: «**استوصوا بالنساء خيرا**» [متفق عليه].

وأنت اللؤلؤة المكنونة التي حافظ عيها هذا الدين وحماها بشريعة تصونها وتقيها من كل ما يؤذيها أو يخدشها، فعلى يديك يتخرج الزعماء والحاكمون، والقادة الفاتحون، والعلماء العاملون، والدعاة والمعلمون، والقضاة العادلون، والأطباء والمهندسون، فأنت مجتمعا بأسْره وأنت أمّة بأكملها! وأنت عماد الأسرة وركنها الركين.

عرف حاسدوك ذلك فتربصوا بك وحاولوا إبعادك عن تلك المكانة العالية والرتبة السامية، بزحزحتك عن مكانتك العظيمة ودورك الكبير الذي خصك به خالقك، وحاولوا بل وأرادوا تحريرك من دينك تحت شعارات مزيفة خادعة، وأسماء براقة لامعة، لكن الأمة المحمدية التي أنجبت عائشة وخولة وأسماء وفاطمة ونسيبة والخنساء، تنجب وستنجب على الدوام من يسير بسيرتهن ويحذو حذوهن، لتعلن كل فتاة أنها لن تغريها هذه الحياة بما فيها من شهوات ومغريات، فهي بالنسبة لها وسيلة وسبب وليست غرضا وهدفا، لأن منتهى آمالها جنة عرضها السماوات والأرض تكون من أهلها وسكانها. فهنيئا لك يا فتاة الإسلام وأبشري.. وأرْعِني سمعك دقائق معدودات لنعرف ونرى تلك الفتاة الصالحة التي تحب الله عز وجل.

من هي الفتاة التي تحب الله ورسوله؟

– هي تلك الفتاة المؤمنة التي رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا وبسيدنا محمد ﷺ نبيا

ورسولا، فقامت بدين الله من جميع جوانبه، فأتمرت بأمره تعالى، والتزمت بتعاليم رسوله ﷺ، صغيرها وكبيرها، فأطاعته واتبعته، وأحبته وتأسّتْ به واقتدتْ، واتخذت لها من زوجاته أمهات المؤمنين –رضوان الله عليهن– مثلا وقدوة.

– هي تلك الفتاة التي ما فتئت تذكر الله تعالى وتتعبده بذلك كأنها تراه، لأنها تعلم أنه سبحانه يراها ويحصي أعمالها وأقوالها، ويعلم سرها ونجواها، قال تعالى: ﴿**إِنَّ اللهَ لاَ يَخْفَى عَلَيْهِ شَيْءٌ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ**﴾ [آل عمران: ٥].

– هي تلك الفتاة المتعلمة طالبة العلم من المهد إلى اللحد، تطلب علما ينفع الله به، شعارها «رب زدني علما»، مبدؤها ﴿**اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ**﴾، منهاجها القرآن والسنة، تتسلح بعلوم الدنيا لتتزود بها للآخرة، ولا يصرفها ذلك عن التفقه في دينها وثقافة بلادها، فقد قال رسول الله ﷺ: «**من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين**» [متفق عليه].

– هي تلك الفتاة المتخلقة بأخلاق دينها العظيم الذي يأمر بكل جميل، وينهى عن كل قبيح، من رآها وهي على ذلك الخلق رأى فيها جمال هذا الدين وسماحته ويسره ومنهجه القويم، وفي الحديث: «أكمل المؤمنين إيمانا أحسنهم خلقا» [الترمذي]. فهي حسنة الخلق مع الناس جميعا.

– هي تلك الفتاة البارة بوالديها، الحنون على إخوتها وأخواتها، الواصلة رحمها، المحسنة لجيرانها، التي تحب للناس ما تحب لنفسها، فتنفع أينما حلّت، تحترم الكبير وتجلّه، وترحم الصغير وتعطف عليه.. قال تعالى: ﴿**وَاعْبُدُوا اللهَ وَلاَ تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ وَالصَّاحِبِ بِالْجَنْبِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ**...﴾ [النساء: ٣٦] .

– هي تلك الفتاة التي سيماها في وجهها ومظهرها وملبسها، وفي أقوالها وأفعالها، بل وفي مشيتها وحركاتها وسكناتها، فقلبها يضخّ الدم ممزوجا بالإيمان الذي يظهر في سلوكها، وينضح ما فيه على تصرفاتها، فهي الوقور المهذبة التي يمنعها حياؤها من معصية ربها، لأن الحياء شعبة من شعب الإيمان، وكما قال النبي ﷺ: «**الحياء كله خير**» [رواه البخاري] .

openkandil.com

– هي تلك الفتاة التي جعلت بينها وبين معصية الله حجابا، فتحجبتْ وحجَبتْ عورتها عن أعين المتطفلين، والتزمتْ بارتداء اللباس الشرعي أمام غير محارمها من الرجال كما أمرها الله، فغطت شعرها بغطاء ساتر للشعر والنحر والصدر، قال تعالى: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ﴾ [٣١- النور].. ولم تلبس الضيق أو القصير أو الشفاف من الثياب، بل ملابس فضفاضة ساترة، لا تشف ولا تصف، ولم تتشبه بغير الصالحات لأن عزة المسلمة في تميّزها، وشرفها في الالتزام بدينها وطاعة ربها الذي قال لنبيه ﷺ: ﴿يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩].

– هي تلك الفتاة الحييّة التي لا تخرج من بيتها متعطرة يفوح شذا عطرها في كل مكان، طاعة لأمر رسول الله ﷺ القائل: «**إذا شهدت إحداكن المسجد فلا تمسّن طيبا**» [أخرجه مسلم]، ولا تخرج من بيتها متزينة بسائر أنواع الزينة التي نهيتْ عن إبدائها لغير محارمها، من أصباغ على الوجه والشفتين وما يعرف [بالمكياج]، وفي بيتها متسع لإظهار تلك الزينة، مستجيبة لأمر الله تعالى ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ...﴾ [النور: ٣١]، كما أنها تزين شفتيها بالصدق وتحددها بذكر الله، وتكحل عينيها بالنظر في كتابه الكريم والتفكر في ملكوته، وتجمّل وجهها بالوضوء.

– هي تلك الفتاة التي تعلم أن الجمال هو جمال الروح ونقاء السريرة، فلا تغترّ بجمالها، بل تشكر الله عليه، وتكمله بسلامة قلبها وصفاء نفسها لأن رسول الله ﷺ يقول: «**إن الله تعالى لا ينظر إلى أجسامكم ولا إلى صوركم ولكن ينظر إلى قلوبكم**» [رواه مسلم].

– هي تلك الفتاة العفيفة، التي لا تنخدع بما يسمى حُبّ ما قبل الزواج، ولا تحاول أن تجربه، ولا ترضى أن تكون حبيبة لرجل من غير زواج مهما تكن الأسباب، فالحب الصادق يأتي به الله تعالى القائل في كتابه ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾ [الروم: ٢١]. ولا بأس أن تتزوج ممن ترغب فيه

وأن تتعرف عليه عن طريق أهلها، لكن دون أن تنشيء معه علاقة حب قبل ذلك قد تطول أو تقصر، وقد يترتب عليها أمورا أخرى.

– هي تلك الفتاة التي لا ترضى بغير الرجل الصالح زوجا، وإذا تقدم لوليها من يرضى دينه وخلقه رحبت به، وارتضته زوجا لها ليعينها على طاعة ربها، ولم تختلق الأسباب الواهية لترفضه بها، ففي الحديث: «إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه، إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد» قالوا: يا رسول الله، وإن كان فيه؟[1] قال ﷺ: «**إذا جاءكم من ترضون دينه وخلقه فأنكحوه**» – ثلاث مرات – [الترمذي].

– هي تلك الفتاة التي تتقي الله في كل أوقاتها، وتطيعه في كل أحوالها، فتطيعه في يوم عرسها فلا تظهر بزينتها أمام الرجال، تتبع المنهج الرباني في هذا اليوم السعيد، ولا تطلب رضا الناس عنها بمعصية ربها تبارك وتعالى.

– هي تلك الفتاة التي تعرف وتقدر قيمة وقتها الذي هو عمرها، فلا تضيعه في توافه الأمور، ولا في القيل والقال، إنما مجالسها بذكر الله عامرة، لا غيبة فيها لأحد، ولا مكان للشيطان ولا نصيب، لسان حالها دوما يقول: إذا مضى يوم ولم أصطنع يدا ولم أقتبس علما فما ذاك من عمري.

– هي تلك الفتاة الحريصة على مرافقة الصالحات، الداعية على علم وبصيرة للشاردات والتائهات من بنات جنسها، بالحكمة والموعظة الحسنة، كما قال تعالى: ﴿**ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ**﴾ [النحل: ١٢٥] .

– هي تلك الفتاة ذات الهمة العالية والهدف السامي، فهي لا تغرها الدنيا بأسرها ولا تخدعها الأضواء مهما علت، لأن همّها رضا الله عز وجل، وهدفها القرب منه سبحانه وتعالى، وأمنيتها صحبة النبي ﷺ في جنة عرضها السماوات والأرض.

– هي تلك الفتاة التي لا تنساق وراء كل ناعق، وهي لا تجري في سباق مع الموضة من الأزياء وقصات الشعر بل تأخذ منها ما يناسبها كمسلمة دون أن يكون ذلك شاغلها

(١) يعني نقص في الجاه أو فقر في المال أو غير ذلك .

obeikandl.com

الأكبر وهمها الوحيد.

– هي تلك الفتاة التي وهبت نفسها ووقتها وعلمها وعملها وكلها لله عز وجل، تقول لنفسها دائما «يا نفس أخلصي تتخلصي»، نيتها لله خالصة، تسارع في فعل الخيرات، وتحافظ على الفرائض والنوافل من الطاعات والعبادات، تأخذ بلجامها إلى طريق مجاهدة الشهوات، ولسان حالها يقول: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى﴾ [طه: ٨٤].

– هي تلك الفتاة التي لا تحمل همّ نفسها فحسب، بل تحمل همّ المسلمين في كل مكان، وهمّ الأمة، وهمّ المستضعفين والضعفاء فتعيش بقلبها معهم تنصر وتؤازر وترفع الظلم عنهم بكل ما تستطيع من قول أو عمل.

– هي التي تشارك في صنع النهضة لأمتها، وتحب بلدها وتسعى لرقيه وتحافظ على جماله وسلامته ونظامه وأمنه، وقد قالوا إن حبّ الوطن من الإيمان.

– هي تلك الفتاة الثابتة على الحق تدور معه حيث دار، وهي دائما تحاسب نفسها على تقصيرها في حق الله عز وجل، وتتوب إليه وتستغفره وتدعوه رغبا ورهبا.

وبعد.. أيتها الزهرة اليانعة..

فإن الفتاة التي تحب الله هي تلك الفتاة التي أسلمت وجهها لربها عز وجل فكانت كما يريد، وخضعت لتعاليم دينه فكانت كما أمر، وما جعلت لنفسها خيارا فيما فرض عليها من واجبات، بل قامت بكل ذلك سعيدة راضية وهي تقول: ﴿سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. وقد قطفتُ لك بعض الزهرات العطرات من حقل مليء بأزهار الأعمال الطيبات التي تتصف بها كل فتاة مسلمة، اخترتها لك عسى الله أن ينفعنا وينفعك بها، فاحرصي على أن تجملي نفسك بها وتعطري مجالسك بعبقها، وتنعشي روحك بعبيرها، ليكون لك أعظم الخير والأجر والجنات، وثقي بُنيّتي أنه عندما نربي أنفسنا وأجيالنا على هذا الدين العظيم فسيكون له المجد والسؤدد كما نريد، ويعم الخير ويفيض، ويندحر الشرّ ويبيد، فهلمي يا فتاة الإسلام وابنته لتدركي ركب الصالحات، أدركيه يا بنيتي، ومعهن سِيرِي، والله يرعاك.

obeikandi.com

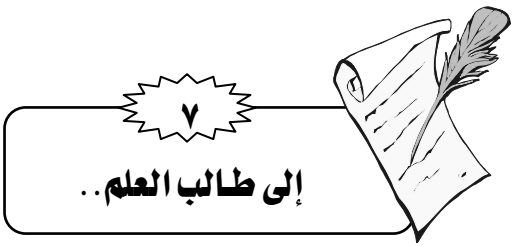

٧
إلى طالب العلم..

هذه الرسالة أوجهها إلى كل مَن علتْ همته، وقويتْ عزيمته، فسعى إلى معالي الأمور وما رضي منها باليسير، إلى كل من سار على الطريق ولم يقف إلا للتزود أو الراحة يطلب العون من الله راجيا إياه، ضارعا إليه «رب زدني علما».

إنها لكل مَن يطلب حظه ونصيبه من ميراث النبوة فسلك لذلك طريقا يلتمس فيه علما خالصا لوجه الله. وهي رسالة مِن قلب مُحِبّ علها تصل إلى قلوب تستقبلها فتعقلها، وتسمعها فتعيها، وتعمل بها وتنشرها..

يا طالب العلم.. أخلص نيتك لله تعالى..

فلقد حفظت الوصية حين أقدمت على طلبه، وقد أريد بك خيرا إذ سلكتَ خير طريق يوصلك إلى الجنة، قال رسول الله ﷺ: «**من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له طريقا إلى الجنة**» [مسلم].. أبشِر وقد سعيتَ لأداء الفريضة الواجبة عليك وأنصفت نفسك، ففي الحديث «طلب العلم فريضة على كل مسلم» [ابن ماجه]. وأمِنتَ بذلك من الجهل والغفلة، وحفظت وقتك وسلكتَ طريق الرحمة، قال ﷺ: «**الدنيا ملعونة، ملعون ما فيها، إلا ذكر الله وما والاه، وعالما أو متعلما**» [رواه ابن ماجه، وصححه السيوطي]، وخرجت في سبيل الله كما قال ﷺ: «**من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع**» [الترمذي]. وأغلقت مدخلا كبيرا من مداخل الشيطان إلى قلبك، مدخل الجهل.

ففز بعلم تعش حيّا به أبدا:الناس موتى وأهل العلم أحياء.

هيا.. أدرك حظك من ميراث النبوة..

كثيرا ما تطالعنا الصور المؤثرة يوما بعد يوم بمزيد من العبر والتذكرة بما يشعرنا بعظيم النعمة التي نتقلب فيها ليل نهار ونحن ربما لا ندري بها أو نشعر، وإن لانت قلوبنا

وشعرت تَحَرَّكَ اللسان بشكرها حينا لكنه يغفل ويسهو أحيانا أخرى، فقد فطر الإنسان على النسيان لأنه بشر، وجلس له الشيطان بالمرصاد ليحول بينه وبين الغاية المباركة التي هي الطريق الأكيد للتعريف بالنعمة، والسبيل السوي لبيانها والعامل المساعد على أداء شكرها. أتذكّر ذلك حين أرى شحّ بعض النفوس وغفلتها وتسويفها في السعي لطلب حظها من ميراث نبيها العظيم ﷺ الذي بيّنه فقال: «**وإن الأنبياء لم يوَرِّثوا دينارا ولا درهما، وإنما ورَّثوا العلم، فمن أخذ به أخذ بحظ وافر**» [الترمذي]. فتراها للأسف كسولة في طلبه، بطيئة الحركة في السعي إليه، تحتاج إلى من يزحزحها عن أرض الكسل والفتور لتفيء وتنهض فتأخذ نصيبها الأوفى منه، ويؤلمني أكثر عندما أتساءل ماذا لو كان هذا الميراث مالا ملموسا أو عقارا محسوسا؟ إذًا لتنازع عليه أهله وغير أهله وطالبوا به في دور المحاكم وأمام القضاة ولو استغرق منهم ذلك سنين عددا! فكيف نتنازل ولو عن القليل من حقنا في ميراث نبينا ﷺ؟!

أبشِر يا طالب الميراث..

فإذا وفقك الله تعالى ويسر لك طريق العلم فأخلص النية في طلبه لله عز وجل، وليكن أول ما تطلبه ما هو فرض عيْن عليك من تعلم أمور دينك التي بها تعرف الحلال والحرام، والتي تبين لك كيفية القيام بالعبادات التي لا يقوم بها غيرك عنك لتعبد ربك على بصيرة، وكذلك ما تدفع به الشبهات حتى تكون على بينة من دينك ولا يختلط عليك أمرك، فإذا ما علمتَ ذلك وبدأتَ في طلب العلم فالجأ إلى الله واطلب العون منه واجأر إليه داعيا إياه أنْ علمني يا الله ما ينفعني وارزقني الإخلاص، ثم زين هذا الإخلاص بتقوى الله لتتحقق معيته وعونه لك، وتكون أهلا لهذا الرزق العظيم من الفهم وحسن التعلم «واتقوا الله ويعلمكم الله».

العلم من المهد إلى اللحد..

من أراد أن يطلب العلم فعليه أن يبدأ منذ الصغر، وهذا مسئولية الآباء والمربين لأن العلم في الصغر كما يقولون كالنقش على الحجر، وإن كان هذا لا يمنع مَن فاته قطار التعلم في صغره أن يستمر في الطلب، فالعلم بحر لا يجف معينه ولكنه يحتاج دائما لمن

يغرف منه ليستمر جريانه ولا ينضب، وإننا جميعا في أشد الحاجة لنور العلم فهو المصباح المضيء للقلوب والعقول، وسبيل المعرفة في زمن الغربة، وللأسف فقد حرم منه الكثيرون في أماكن شتى في هذا العالم رغما عنهم، بسبب الفقر أو الحروب والنزاعات، ومنهم من لا يستطيع إليه وصولا لأسباب أخرى متعددة وإن اختلفت لكنها في النهاية تحمل معنى واحدا لا ثاني له ألا وهو الحرمان من النور، من نور العلم وسناه، أما نحن فبحمد الله قد شملتنا النعمة الإلهية وغمرتنا الرحمة الربانية، إذ يسر الله لنا ولكل طالب علم سبل تلقيه، وللأسف فلا زال الكثير منا لا يدرك هذه القيمة العالية ولا يكلف نفسه مشقة طلبه، ولا يتشوف إليه، تنقصه الهمة والعزيمة. فحبذا العيش مع العلم، ولأن يحيا المرء وهو يتعلم ويموت وهو يتعلم خير له من أن يعيش أو يموت جاهلا، وأي جهل أكبر من جهل المرء بدينه، وأي ضعف أكثر من عدم الحرص على ما ينفعه في الدنيا والآخرة، وقد قال النبي ﷺ: «**المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير، احرص على ما ينفعك واستعن بالله، ولا تعجز**» [مسلم].

حدد هدفك يسهل الوصول إليه..

بعد مرحلة الصغر يتضح لطالب العلم ما يستهويه ويبرع فيه من فروع العلوم المختلفة، لذا فإن عليه أن لا يتقيد بمجموع درجاته في مرحلة ما قبل الجامعة، فيدخل جامعة لا يميل إليها قلبه وعقله لأنها كما يقولون من كليات القمة، أو لأنه حصل على التقدير الذي يؤهله للدراسة فيها، ويغض طرفه عن طموحه وميوله وما يتفوق فيه ويتميز، وهنا كثيرا ما نقع في الخطأ حين نجعل من مجموع درجات الطالب في نهاية العام حاكما على مستقبله الدراسي والعملي، فيقف الوالدان بل والمجتمع من وراء ذلك الطالب مقللين من شأن ميوله بنظرتهم الدونية إلى بعض الجامعات ولو تركوا له المجال لصار علَما في تخصصه ذاك الذي يريده، فيُحرَم منه بسبب أعراف اجتماعية نشأنا عليها تحتاج إلى تصحيح وتغيير، لذا فإننا نؤكد على أن أمتنا تحتاج إلى التخصصات المختلفة، وإن كل تخصص له احتياجاته، كما نطلب من طلبة العلم أن يتفرغوا له حين طلبه وأن يتفوقوا في تحصيله، ليكونوا أعلاما، كلٌّ في مجاله، ليس في محيط بلادهم فحسب بل على مستوى

العالم بأسره.

صفات طالب العلم..

– إنه ذلك الطالب المخلص الذي يطلب العلم مخلصا لله تعالى لا يطلبه رياء أو سمعة أو لدنياه فقط، إنما شأنه شأن المسلم في كل أعماله، همّه في كل حركاته وسكناته رضا الله تعالى بما ينفع نفسه والناس من حوله.

– هو الغيور على أمته وبلاده، يتعلم ليسد حاجتها ويرفع شأنها يشارك بعلمه في رفعتها وعلو شأنها.

– هو الذي لا يلهيه طلب العلم عن القيام بحق الله تعالى كأداء الصلوات في أوقاتها، وبر الوالدين، والإحسان إلى الفقراء ومساعدة الضعفاء، وسائر أعمال الخير.

– إنه الصبور في تحمل مشاق طلب العلم، المحافظ على أوقاته، المتحيّن كل لحظة في طلبه إعلاء لشأن أمته، لا يتعلل بأي سبب ليكسل عن طلبه، فإن في صبره ومثابرته جهادا للنفس ولشهواتها، وإلا فلن يستطيع أن ينهل من معينه، وكما الشاعر مخاطبا كل كسول ومسوّف في طلبه:

إذا كان يؤذيك حرّ المصيف: ويبسُ الخريف وبرد الشتا.

ويلهيك حسن زمان الربيع:فأخذك للعلم قل لي متى؟!

– إنه هو من فرّغ نفسه وجردها من شهواتها في سبيل طلبه للعلم، طموح لا يرضى لنفسه إلا أعلى الرتب والمراتب، يأخذ بأسباب ذلك ويتوكل على الله، شعاره «رب زدني علما»، كلما نال درجة منه سارع لغيرها.

– هو الموقر لمعلميه وأساتذته، المطيع لهم، الخلوق معهم، فلا يرفع طرفه عليهم، ولا يعلو صوته صوتهم، يعرف فضلهم، ويثني عليهم ويشكرهم، يخلص لهم الود، ويدعو لهم بظهر الغيب، ولسان حاله يقول مَن علمني حرفا أخلصت له ودا.

– هو صاحب الخلق الحسن، متواضع مع زملائه وصحابه فلا يبخل عليهم بالعون، ولا يتكبر عليهم بنجاح وتفوق، قدوة طيبة لهم، متعاون معهم على طلب العلم وحسن

obeikandi.com

التأدب بآدابه، قال تعالى: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة: ٢].

- لا يسرق جهد غيره بالغش ولو عُرِضَ عليه ذلك أو تيسر له، وهل هناك مبرر لغشه، إنه إن حصل على النجاح بهذا التدليس والخداع فلا بارك الله له فيه، ﴿وَمَا يَخْفَى عَلَى اللهِ مِن شَيْءٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاءِ﴾ [إبراهيم: ٣٨]. أما في دار الجزاء فإن الغشاش يفضح أمام الخلائق يوم تنكشف السرائر وتعرض الأعمال وتنشر الصحائف، ويالله الخزي لغشاش ظالم، بل وسارق قد سرق تعب زملائه المجدين المجتهدين الذين أمضوا عامهم في جد واستذكار، والنبي ﷺ قد نهانا جميعا عن الغش فقال: «**من غش فليس منا**» [الترمذي]، وقال: «**من غشنا فليس منا**» [مسلم]. والواجب عليه بدلا من ذلك أن يجتهد ويذاكر بجد، والله لن يضيعه بفضله ورحمته.

ومن لا يذق ذل التعلم ساعة تجرع ذل الجهل طول حياته

- يحافظ على مدرسته وجامعته، نظافتها وممتلكاتها، سلامتها وأمنها، فهي أمانة لديه، وليست ملكا له وحده، وهو مسئول عن ذلك أمام الله تعالى يوم القيامة.

لا يؤجل واجباته ولا يتركها حتى تكثر وتتراكم عليه، بل يتقن أداءها لأن الله تعالى يحب منه ذلك.

- لا ينعزل بسبب طلب العلم عن الناس، ولا عن أحداث أمته والعالم من حوله، وإنما يعيش الواقع ويعاصره، ويوازن بين ما يطلب من العلم وبين العلوم الأخرى ليكون على بينة بما يحدث في عصره.

- أن يطلب مع علمه وتخصصه العلم الشرعي المفروض عليه، ليتعرف على دينه من خلاله ويعمل بما تعلم منه ليتحقق الغرض والنفع له.

- يغض طرفه عن المحارم ويتقي الله في مشيته ونظرته وسكونه وحركته، له ورد يومي من القرآن الكريم، وصحبة مع الذكر والدعاء، يستعين بطاعته لله على طلب العلم.

- يستخدم من الوسائل التكنولوجية الحديثة في عصره ما يعينه على الفهم ويساعده

obeikandi.com

على طلب العلم ويستفيد من تلك النعم.

وأخيرا يا طالب العلم فلست وحدك من تطلب العلم فقد طلبه قبلك كثيرون ويطلبه معك أيضا كثيرون وسيطلبه بعدك أيضا الكثيرون، فلا تغتر بما آتاك الله تعالى، واعلم أنك مهما بلغت فيه مبلغا فإن ذلك من فضل الله عليك ﴿**وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**﴾ [الإسراء: ٨٥]، وما أنت إلا سبب فكن على صلة دائمة بربك العليم يهبك علما، واشكره يزدك فضلا، ولا تغتر بعلمك فيسلبه منك. واعلم أن النبي ﷺ يحثك ويشجعك على العلم ويبشرك فيقول: «**ما من خارج خرج من بيته في طلب العلم إلا وضعت له الملائكة أجنحتها رضا بما يصنع حتى يرجع**» [رواه أحمد وصححه السيوطي].

❊ ❊ ❊

obeikandl.com

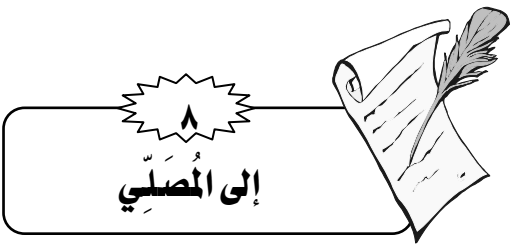

٨
إلى المُصَلِّي

الصلاة عماد الدين وبغيرها لا يقوم بنيانه.. ولمكانتها العظيمة وأهميتها الكبيرة كانت هذه الرسالة.. مع تقصير الكثيرين منا في أدائها وعدم فهمهم لمعناها الحقيقي وثمراتها المرجوة.. أهديها لكل من يصلي، رجاء أن ينتفع بها ويصلي صلاة كاملة الأركان مستوفية الشروط، كما أهديها كذلك لمن ترك الصلاة أو تكاسل في أدائها، عله يفيء إلى أمر الله فيصلي ويجدد صلته بخالقه. وأذكّر بها مَن يسيء صلاته فينقرها نقر الغراب لم يخشع قلبه فيها فلم تثمر في جوارحه طاعة، ولا في قلبه خشية، ولا في نفسه استسلاما لَمن أمر بها وفرضها.. هي رسالة من قلب محب علها تلامس القلوب وتنتفع بها النفوس..«وذكر فإن الذكرى تنفع المؤمنين».

هذه رسالتي..

إلى كل مَن رضي بالله ربا فآمن به واتبع أوامره، وبالإسلام دينا فنهج نهجه ودعا إليه، وبسيدنا محمد ﷺ رسولا فاتبع هديه وسار على سنته.. إلى مَن يتجه بوجهه كل يوم خمس مرات يكرم فيها ذلك الوجه بالسجود لخالقه ومولاه حبا وشوقا.. طاعة وقربا. إلى ذلك الإنسان الذي كرمه الله تعالى منذ خلقه حين أسجد له ملائكته، واجتباه على سائر مخلوقاته فسخر له الكون كله، ما في سماواته وما في أرضه، ليحقق الأمر ويسجد لربه سبحانه وتعالى ويقترب.

دعوة للوصال..

إنها دعوة للوصال مع مَن تألهه القلوب وله تخشع، وتذل له الرقاب وتخضع، دعوة للصلاة التي يدرك المصلِّي فيها من القرب غايته حين يدخل محرابها يناجي فيه مولاه. قال بكر بن عبد الله مشيرا لهذا المعنى: يا ابن آدم إذا شئت أن تدخل على مولاك بغير إذن

obeikandi.com

وتكلمه بلا ترجمان دخلت، قيل: وكيف ذلك؟ قال: تسبغ وضوءك وتدخل محرابك، فإذا أنت قد دخلت على مولاك بغير إذن فتكلمه بغير ترجمان.

وفي الصلاة تعنو الجباه لخالق الموت والحياة، فتحيا القلوب بذكره، وترفع الدرجات بفضله، وتُمحى الذنوب برحمته وستره، لذا فإن من ترك الصلاة فهو محروم، حُرِمَ القربَ والسكينة وراحة النفس، ومَن تهاون في أدائها أو فرط في أركانها فهو مغبون لم يذق حلاوة الخشوع فيها، ومَن شغل بشيء عنها فهو خاسر لم يشعر بلذة المناجاة.

الصلاة أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة..

فهي الحد الفاصل بين الإسلام والكفر، وقد قال رسول الله ﷺ: «**بين الرجل وبين الشرك والكفر ترك الصلاة**» [أخرجه مسلم]. وهي أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة، قال رسول الله ﷺ: «**أول ما يحاسب عليه العبد يوم القيامة الصلاة، فإن صلحت صلح سائر عمله، وإن فسدت فسد سائر عمله**» [رواه الطبراني]، وهي العبادة الوحيدة التي فرضت علينا في السماء في رحلة معراج الرسول إلى السماوات العُلا وهذا يزيد من أهميتها ويؤكد فضلها، كما أنها الركن الوحيد من أركان الإسلام الذي لا يسقط بحال عن كل مسلم بالغ عاقل، فهي واجبة في الحضر والسفر، واليسر والعسر، والصحة والمرض، وحال الأمن والخوف، والسلم والحرب، وهي لا تسقط إلا عن مجنون، أو صغير، أو امرأة حال حيضها ونفاسها.

لا تنسَ.. فأنت على موعد..

نعم.. ففي كل يوم أنت على موعد هام فلا تتأخر وما ينبغي لك أن تتأخر، أنت على موعد مع الله تعالى خمس مرات في اليوم والليلة لتقف بين يديه في الصلاة تناجيه وتدعوه، تستغفره وترجوه، ألم تر أن الله تعالى قد جعل لها ميقاتا محددا وقال: ﴿**فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا**﴾ [النساء: ١٠٣]. وحذر من عدم الالتزام به فقال: ﴿ **فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ۝ الَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ** ﴾ [الماعون: ٤، ٥].. قال ابن عباس رضي الله عنهما: أي الذين يؤخرونها عن أوقاتها. وقال آخرون: ساهون بإضاعة الوقت فلا يصلونها لمواقيتها، ولا يتمون ركوعها ولا سجودها فهم ساهون إما عن وقتها الأول

فيؤخرونها إلى آخره دائما أو غالبا وإما عن أدائها بأركانها وشروطها على الوجه المأمور به، أو ساهون عن الخشوع فيها والتدبر لمعانيها فاللفظ يشمل ذلك كله ولكن من اتصف بشيء من ذلك فله قسط من هذه الآية، ومن اتصف بجميع ذلك فقد تم له نصيبه منها وكمل له النفاق العملي كما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق تلك صلاة المنافق يجلس يرقب الشمس إذا كانت بين قرني الشيطان قام فنقر أربعا لا يذكر الله فيها إلا قليلا» فهذا آخر صلاة العصر.

لكن البعض منا للأسف قد يتأخر فيفوته الخير الكثير، وقد يفعل ذلك جهلا أو تكاسلا أو سهوا، أو لأنه يؤدي الصلاة بطريقة روتينية بحتة فهو يصلي لأنه فقط تعود على الصلاة، أو حتى لا يشعر بوخز الضمير، أما الدروس الإيمانية العظيمة المأخوذة منها فليس له نصيب فيها. فخبّروني بالله عليكم كيف يليق بنا أن نتأخر عن الدعوة وقد دعانا إليها الله الملك الحق، أفلا يليق بأهمية الدعوة وعظمة وكبرياء الداعي جل جلاله أن نستعد للمثول بين يديه قبل أن يحين الوقت، وأن نلبي نداءه في الموعد ونسعد بذلك القرب، وفي الحديث القدسي: قال الله تعالى: «افترضت على أمتك خمس صلوات، وعهدت عندي عهدا أنه من حافظ عليهن لوقتهن أدخلته الجنة، ومن لم يحافظ عليهن فلا عهد له عندي» [رواه ابن ماجة وصححه السيوطي].

تعلّم أحكام الصلاة لتؤديها تامة..

ألا فلتتجه إلى الله تعالى سائلا إياه أن يهديك ويفقهك في دينك، وأتْبع ذلك بتعلم أحكام الصلاة، كيفيتها، شروطها وأركانها، واجباتها وسننها، مكروهاتها ومبطلاتها، تعلّم كل ذلك على يد عالم من علمائنا أو شيخ من شيوخ مسجد بلدتك، وهم كثير والحمد لله، وذلك فرض عين عليك لا يقوم به غيرك، فإذا ما تعلمت ذلك فأتْبع العلم العمل وابدأ الصلاة مسبغا لها الوضوء، مكبرا ربك معظما له في قلبك مناجيا إياه في خشوع، قال النبي ﷺ: «إذا قام أحدكم يصلي، فإنه يناجي ربه» [البخاري]، فهل تعي ذلك كله أيها المصلي؟ كما أن على كل والديْن أن يبدآ في تعليم أولادهما هذه الفريضة العظيمة منذ الصغر لتكون سهلة عليهم إذا ما كبروا، ويعتادوا المحافظة والمداومة عليها، وفي الحديث:

«مروا أولادكم بالصلاة إذا بلغوا سبعا واضربوهم عليها إذا بلغوا عشرا» [رواه أحمد]، ولا أظن أننا سنكون في حاجة لضربهم إذا أمرناهم بها واصطبرنا عليهم ثلاث سنوات متتاليات، إنما التقصير في الغالب يكون من الوالدين في ذلك.

حين تصلي انظر مع مَن تتكلم.. وأمام مَن تقف..

ذلك أدنى أن تخشع فيها وتجاهد نفسك وتأخذ بأسباب الخشوع لتفلح، قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ﴾ [المؤمنون: ١، ٢]، وقد كان رسول الله ﷺ يستعيذ بالله من قسوة القلب فيقول: «**اللهم إني أعوذ بك من علم لا ينفع، وقلب لا يخشع**» [مسلم]. فقسوة القلب تؤدي إلى عدم الخشوع الذي يجعل من المصلي سارقا، لذلك فإن النبي ﷺ يقول: «**أسوأ الناس سرقة الذي يسرق من صلاته لا يتم ركوعها ولا سجودها ولا خشوعها**» [رواه أحمد وصححه السيوطي]. ويدعونا إلى أداء الصلاة مستوفية الشروط كاملة الأركان فيقول: «**إذا أحسن الرجل الصلاة فأتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة حفظك الله كما حفظتني، فترفع، وإذا أساء الصلاة فلم يتم ركوعها وسجودها قالت الصلاة ضيعك الله كما ضيعتني، فتلف كما يلف الثوب الخلق، فيضرب بها وجهه**» [الطيالسي، وصححه السيوطي]. وقد سئل حاتم الأصم كيف تخشع في صلاتك؟ قال: بأن أقوم وأكبر للصلاة وأتخيل الكعبة أمام عيني، والصراط تحت قدمي، والجنة عن يميني، والنار عن شمالي، وملك الموت ورائي، وأن رسول الله ﷺ يتأمل صلاتي، وأظنها آخر صلاة، فأكبر بتعظيم، وأقرأ تدبر، وأركع بخضوع، وأسجد بخشوع، وأجعل صلاتي للخوف من الله والرجاء لرحمته، ثم أسلم ولا أدري هل قبلت أم لا.

إياك والنوم عن صلاة الفجر..

ذلك لأن رسول الله ﷺ يقول: «**إن أثقل صلاة على المنافقين صلاة العشاء وصلاة الفجر، ولو يعلمون ما فيها لأتوهما ولو حبوا، ولقد هممت أن آمر بالصلاة فتقام ثم آمر رجلا فيصلي بالناس ثم انطلق معي برجال معهم حزم من حطب، إلى قوم لا يشهدون الصلاة، فأحرق عليهم بيوتهم بالنار**» [مسلم]. وقال: «لو يعلمون ما في العتمة والصبح لأتوهما ولو حبوا» [متفق عليه]. وقال: «الملائكة يتعاقبون، ملائكة بالليل وملائكة بالنهار،

obeikandi.com

ويجتمعون في صلاة الفجر والعصر، ثم يعرج إليه الذين باتوا فيكم، فيسألهم وهو أعلم، فيقول كيف تركتم عبادي، فيقولون تركناهم يصلون، وأتيناهم يصلون» [البخاري]. لذلك فإن من نام عن صلاة الفجر فاته الخير الكثير، وفاتته بشارة النبي ﷺ: «**من صلى البردين دخل الجنة**» [مسلم].

حتى تؤتي صلاتك أكلها وثمارها..

– إذا سمعت المؤذن، وعلمت بدخول وقت الصلاة فسارع إلى أدائها ولا يشغلك شيء عنها، ففي الحديث الشريف «من حافظ عليها كانت له نورا وبرهانا ونجاة يوم القيامة ومن لم يحافظ عليها لم يكن له نور ولا برهان ولا نجاة وكان يوم القيامة مع قارون وفرعون وهامان وأبي بن خلف» [أحمد]. ولذلك قال ابن القيم: تارك المحافظة على الصلاة، إما أن يشغله ماله أو ملكه أو رياسته أو تجارته. فمن شغله عنها ماله فهو مع قارون ومن شغله عنها ملكه فهو مع فرعون، ومن شغله عنها رياسته ووزارته فهو مع هامان، ومن شغله عنها تجارته فهو مع أبيّ بن خلف.

– أسبغ الوضوء للصلاة واحرص على استخدام السواك قبلها، قال رسول الله ﷺ: «**السواك مطهرة للفم، مرضاة للرب**» [النسائي] وليكن قلبك معلقا بالمساجد، فإن النبي ﷺ يقول: «**من تطهر في بيته ثم مضى إلى بيت من بيوت الله ليقضي فريضة من فرائض الله كانت خطواته إحداها تحط خطيئة والأخرى ترفع درجة**» [مسلم]، ويقول: «من غدا إلى المسجد أو راح أعد الله له في الجنة نزلا كلما غدا أو راح» [متفق عليه]، ويقول: «صلاة الجماعة أفضل من صلاة الفرد بسبع وعشرين درجة» [متفق عليه]. ولتكن نوافل الصلوات نصيب بيتك من البركة ففي الحديث: «**إذا صلى أحدكم الصلاة في مسجده فليجعل لبيته نصيبا من صلاته فإن الله عز وجل جاعل في بيته من صلاته خيرا**» [مسلم]. واحذر مراءاة الناس حين تصلي فتزين صلاتك لأجلهم، واعلم أن نيتك في الصلاة والإخلاص فيها سرّ بينك وبين الله تعالى، فعظّمه حق التعظيم ولا تجعله أهون الناظرين إليك، واستعن به وكن يقظا حذرا من الشيطان وتعوذ من شره ووسوسته، وأقبل على الله بقلبك وجسدك وجوارحك، ولا تلتفت فيكلك إلى نفسك، فعن النبي ﷺ أنه قال: «**لا يزال الله مقبلا على**

obeikandl.com

العبد وهو في صلاته ما لم يلتفت فإذا التفت انصرف عنه» [أحمد]، ولا تدخل في الصلاة وأنت تدافع الأخبثين [البول والغائط]، ولا بحضرة الطعام حتى لا ينصرف همك في قضاء حاجتك وتفقد الاطمئنان فيها فتبطلها، قال رسول الله ﷺ: «**لا صلاة بحضرة طعام، ولا وهو يدافعه الأخبثان**» [مسلم]. وبعد أن تؤدي صلاتك لله احرص على أن تتخلق بأخلاق المصلين المقبولين الذين تنهاهم صلاتهم عن الفحشاء والمنكر، روى البزار عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: «**قال الله عز وجل: إنما أتقبل الصلاة ممن تواضع بها لعظمتي ولم يستطل بها على خلقي، ولم يبت مصرا على معصيتي، وقطع النهار في ذكري، ورحم المسكين وابن السبيل والأرملة، ورحم المصاب، ذلك نوره كنور الشمس، أكلؤه بعزتي، وأستحفظه ملائكتي، أجعل له في الظلمة نورا وفي الجهالة حلما، ومثله في خلقي كمثل الفردوس في الجنة**».

* * *

obeikandl.com

دعوتها يوما لارتداء الحجاب بعد أن بلغت مبلغ النساء وهداها الله سبحانه وتعالى لذلك بفضله وتوفيقه وكرمه، ثم إنها بعد أن التحقت بالجامعة لتكمل دراستها في مدينة غير التي تعيش فيها أسرتها، فكانت لها صحبة غير الصحبة وفقدت الجو الذي كانت تعيش فيه وسط رعاية الأسرة والأحباب، ولم تجد من يعينها ويشد على يديها، كما أنها انشغلت بدراستها عن القراءة والثقافة الدينية وحضور حلقات العلم والقرآن مما كان له أكبر الأثر عليها، وما كان منها إلا أنها خلعت حجابها.

وكانت لها هذه الرسالة وإلى مثيلاتها من الفتيات موجهة إليهن جميعا من قلب محب، ومغلفة بأزكى الدعوات أن يمنّ الله تعالى على الجميع بالهداية والعود الحميد إلى رحابه.

رسالتي إليها..

إليك يا ابنة الإسلام وبنت العقيدة، يا حفيدة خالد وعمر وعثمان وعلي، وعائشة وفاطمة وأسماء وخديجة.. ويا منجبة صلاح الدين والفاتح والمعتصم، إليك يا من كرمك الله بالحجاب وصانك بالعفاف وحفظك بالدين، إليك هذه الكلمات أهديها وأنا أنظر بقلبي إلى وجهك الطيب الذي يشع بنور الإيمان وحرارة العقيدة، لولا بعض الشوائب التي سرعان ما تزول، وبعض السّحُب التي سرعان ما تنقشع أو تنزل بالغيث والرحمة، وإنني أحبك في الله، تلك المحبة الخالصة البعيدة عن مصالح الدنيا الزائلة الفانية، المحبة التي توجب عليّ النصح ولو من على بُعد، والتذكرة ولو على سطور الورقة، فلا تتعجبي من حرصي عليك فهذا حقك عليّ، وما حدث معك من الاضطراب الذي استغله الشيطان- العدو الأكبر للإنسان- إنما هو عارض وليس الأصل، ولا شك أنك محبة لله ورسوله، مسارعة لعمل ما يرضيه سبحانه، لذا فإني أريدك أن تقفي مع نفسك وقفة

obeikandi.com

خالصة لله ولو لدقائق عدة، واسأليها وقولي لها يا نفس.. ما الذي أحدث هذا التغير الخطير عليك والذي سيؤثر بلا شك سلبا على حياتك في الدارين معا الدنيا والآخرة، ألا يا نفس.. لماذا نزلت سلّم العلا والرضا ولماذا رجعت عن طريق الطاعة، فخلعتِ حجابك وخلعتِ معه مخالفة الهوى والشيطان؟!

النعمة الكبرى والمنة العظمى..

حبيبتي الغالية.. بالأمس القريب شاهدت برنامجا عن اعتزال بعض الفنانات الشهيرات، بل وبعض الراقصات، وارتدائهن الحجاب وعودتهن إلى الله غافر الذنب وقابل التوب، ورغم ما وصلن إليه من شهرة وأضواء إلا أن الخير بداخلهن قد انتصر على شيطان الشر وهوى النفس، لأن الأصل هو الفطرة، ارتدين الحجاب ليثبتن لأصحاب الأهواء أن الالتزام بمنهج الله وأوامره هو النعمة الكبرى والمنة العظمي التي لا يعادلها المال أو الشهرة أو أي شيء آخر، وأن الإنسان بدون الاهتداء بهدى الله تعالى تائه في صحراء قاحلة لا أول لها ولا آخر إلا أن يتغمده الله برحمته.

حجابك يا ابنتي طاعة لله..

ابنتي الحبيبة.. أنا أعرف أن التيار قوي في جوّ الدنيا، والموج جارف في بحر الشهوات، والإنسان إن لم يعتصم بالله، ويتسلح بالعلم، ويتحصن بالإيمان فسيضل وسط هذه المتاهات المتعرجة، وهذه الصحارى التي تحتاج فيها القلوب الظامئة لمن يمدها بالريّ وماء الحياة، لكن هل جلستِ مع نفسك لحظات وتساءلت، لماذا خلعت الحجاب؟ ولماذا لبسته من قبل؟ وهل حاولت الإجابة بصدق وصراحة، وعلم ويقين لتصلي إلى الحقيقة الغائبة عن الكثيرات عند الإجابة على هذا السؤال، لماذا فرض الله عليّ ارتداء الحجاب؟

ابنتي.. هل نظرت نظرة حيادية عادلة وثاقبة إلى المجتمعات الغربية وما حل بها من النتيجة الحتمية لتفشي العري فيها والتبرج والسفور والاختلاط لتعرفي كيف أكرم الله تعالى المرأة المسلمة بالحجاب، لقد خلعن الثياب ونالت حرياتهن الفتيات وأصبح الجميع رجالا ونساء كل منهم حرّ كما يقال، فهو يفعل ما يشاء ويرتدي ما يريد ويختار، فماذا كانت النتيجة، لقد زادت معدلات الاغتصاب، وحلّ الفساد، وكثر الزنا، واختلطت

الأنساب، وصار زواج الرجال بالرجال والنساء بالنساء زواجا مقننا لا شبهة فيه ولا اعتراض عليه، وأصبح الشذوذ من جانبهم أمرا عاديا مألوفا لديهم يدخل تحت مسمى الحرية وما هو بحرية، وقلت معدلات الزواج الطبيعي لبناء الأسرة إذ حل محله الارتباط المحرم والهوس الجنسي المحموم.

أما أنت فقد أكرمك الله بالإسلام، وحفظك إذ صانك بالحجاب، فحجابك يا ابنتي طاعة لله وعفة وحياء، والواقع يؤكد ذلك. حجابك يا ابنتي يصونك ويصون الشباب من الانزلاق في بحر الانحراف والشهوات. حجابك يا ابنتي طهارة للمجتمع وحفاظ عليه من المجون والفساد. حجابك صون لك وكرامة وهو أولا وأخيرا طاعة لله، فلماذا خلعت الحجاب؟

دين الله تعالى لا يؤخذ بالأهواء..

ابنتي الحبيبة.. إن الدين لا يؤخذ بالأهواء أو بما تريد النفس وتشتهي، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦] ، ذلك لأن نفس الإنسان أمارة بالسوء، ولا نجاة من سوئها إلا بالتمسك بمنهج الله، فأين همّتك العالية، وماذا حدث لك فما عهدتك إلا سبّاقة لكل خير داعية إليه، وإنني أظن أن هذا الحدث لن يستمر طويلا، وأن الفطرة ستنتصر، وأنك ستبادرين بتصحيحه الآن وفورا، وأعتقد أنك فعلت ذلك عن عدم معرفة كافية بفرض الحجاب وأهميته للمرأة وتكريمها به.

ابنتي.. إن الله تعالى نهاك ونهى كل مؤمنة عن إبداء زينتها وكشف عورتها فقال: ﴿وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا﴾ [النور: ٣١]. ومن الأقوال التي جاءت في قوله [ما ظهر منها] أنه الوجه والكفان وما عدا ذلك فهو عورة يجب تغطيتها وسترها. ويقول تعالى للمؤمنات: ﴿وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الأُولَى﴾ [الأحزاب: ٣٣]. وعلى ذلك يجب على المرأة المسلمة أن تغطي جميع جسمها إلا ما استثني، وذلك بملابس ساترة واسعة فضفاضة لا تفصّل مفاتن الجسد، ولا تشف ولا تصف، حتى لا تكون المرأة كاسية عارية فيفوت الغرض من إخفاء العورة وهو الستر وعدم الفتنة. فهل تلتزمين بشرع الله في ملبسك

obeikandi.com

وعملك كله وتفعلين ذلك امتثالا لأمره فتفوزي بعزّ الدنيا وشرف الآخرة. وها هي البشارة يسوقها لك رسول الله ﷺ حين قال لأصحابه: «**من ورائكم أيام الصبر للمتمسك فيهن يومئذ بمثل ما أنتم عليه له كأجر خمسين منكم**» [الطبراني]. أي من الصحابة الكرام رضي الله عنهم.

أين دليل الحب؟

أنت بلا شك تقولين أنك تحبين الله تعالى لكنه سبحانه وتعالى يطلب منك الدليل على حبك، وكل من ادّعى المحبة فعليه أن يقدم دليله، وهو في قوله تعالى: ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللهُ**﴾ [آل عمران: ٣١]، فطاعتك لأوامر الله ورسوله هي دليل محبتك له، وما عدا ذلك فهو ادّعاء لا مرية فيه، فهلا رجعت إليه وإلى أمره فالتزمت بحجابك وعفتك وطهارتك، وهلا حجبت نفسك عن اتباع الهوى وأخذت حذرك من الشيطان الذي يأتي يوم القيامة فيخطب فيمن أغواهم فأطاعوه ﴿**إِنَّ اللهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُم**﴾ [إبراهيم: ٢٢].

إنها جنة عرضها السماوات والأرض..

ابنتي وحبيبتي.. انظري في نفسك وحولك نظر فكر وتأمل، ألم يخلقك الله في أحسن تقويم، ألم يسبغ عليك نعمه ظاهرة وباطنة، ألم يسخر لك الكون بما فيه، ألم يرزقك رزقا حسنا منذ كنت جنينا في بطن أمك وإلى الآن وإلى ما شاء لك في هذه الحياة، هل تعلمين أنك لو جلست تعبدين الله ليل نهار صياما وقياما ما وفيت الله نعمه وما أديت حقه وشكره، لكنه كريم متفضل منعم، فلماذا لا تعودين إليه وأنت تتقلبين في نعمه كل لحظة؟! أتعرفين ثواب من يطيعه ويتعبده بإتيان أوامره واجتناب نواهيه، إنه جنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين، فيها «ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر» [البخاري] .. أتعلمين جزاء من يعود إلى ربه، إنه القبول والرحمة وتكفير السيئات وتبديلها حسنات وكل ذلك فضل من الله الكريم القائل مبشرا: ﴿ **إِلاَّ مَن تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلاً صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [الفرقان: ٧٠].

obeikandi.com

باب التوبة مفتوح.. ولا نجاة إلا بالتمسك بمنهج الله..

إن الحجاب فرض عين على كل مسلمة رضيت أم أبت، قال تعالى: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. والحجاب مظهر لصلاح ظاهر المرأة وتميزها بالالتزام بمنهج الله عن غيرها لذا لا بد مع الحجاب يا ابنتي من صلاح الباطن وتقوى القلب، والمسلمة بحق تجمع بين صلاح الباطن والظاهر فلا يستغني أحدهما عن الآخر، فينضح إيمان قلبها وحبها لربها على مظهرها فيتجلى حجابا وسترا وخلقا طيبا وسلوكا وعملا واتباعا وطاعة، وقد فرضه الله تعالى على المرأة وعلم منها القدرة على الالتزام به لأنه ﴿لاَ يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾، وهو عز وجل هو مَن رحمها وهي صغيرة فحرّم وأدها، ونهى عن تفضيل الذكور عليها، وجعل منها إنسانة لها حقوق، وكرّمها وهي كبيرة أمّا وزوجة وأختا، فجعل لكل منهن حقا وبرّا وصلة ورحما، وأنزل سورا من القرآن تحمل اسمها كأنثى [مريم، النساء، المجادلة] وجعل الجنة دارا لها كما هي للرجال، كل هذا التكريم يقتضي ويتطلب منك الطاعة والإنابة إليه سبحانه.

فعودي إلى الله سريعا ولا تأخذك العزة بالإثم فتندمي وتخسري حيث لا ينفع الندم ولا ترفع المعصية، وباب التوبة مفتوح وهو سبحانه يفرح بتوبة عباده ويغفر ويسامح. فعودي إلى الله عودا حميدا من قبل أن تأتي ساعة يكون الندم فيها كبيرا حيث لا رجعة بعدها إلى الدنيا فنعمل، وتلك الساعة سيذوقها كل إنسان، وهي لا تعرف عمرا محددا، فقد تأتي الصغير قبل أن يكبر، والكبير قبل أن يهرم، والعروس قبل أن تُزَفّ، قد تأتي المرء في أي حال وفي أي وقت فلا يستطيع أن يتوب أو يعيش ليعمل، إنها لحظات الموت التي يتحدد فيها مصير كل إنسان ويطلع على مستقبله وما ينتظره فيه، ووقتها سيعرف المرء هل سيزف إلى جنة الخلد حيث الرضا والنعيم أم سيساق إلى جهنم وبئس المصير، فانتبهي يا بنيتي.

أعدّي للسؤال جوابا..

لقد تمنيت أن تكوني يا ابنتي داعية إلى الحجاب بدلا من أن تخلعيه، وتمنيت أن تكوني

راعية لمنهج الله لا أن تتركيه، فإلى متى يابنيتي تنتظرين، هل أنت في غنى عن رضا الله وهل أنت في مأمن من عذابه، أم أنك ستهربين من ملك الموت إذا ما أتاك الآن وأنت وحدك أو وسط أسرتك وبين صديقاتك وأهلك، فماذا ستفعلين، هل ستفرين منه أم له تعتذرين، وماذا ستقولين، أعدي وجهزي الإجابة من الآن فقد يدخل النفَس والهواء في الجوف ولا يخرج، وإنما هي أنفاس بيد مالكها سبحانه لا ندري نحن متي تنتهي وتنقطع. ولقد أحسن من قال:

إن لله عبـــــــادا فطنـــــــا ... طلقـــوا الـــدنيا وخافـــوا الفتنـــا

نظـــروا فيهـــا فلـــما علمـــوا ... أنهـــا ليســـت لحـــيّ وطنـــا

جعلوهـــا لجـــة واتخـــذوا ... صـــالح الأعـــمال فيهـــا ســـفنا

نعم.. فكم رأينا من أناس نعرفهم خرجوا من بيوتهم وهم أصحاء معافون، فجاءهم الأجل فجأة فلم يستأخروا ساعة أو لحظة، لقد خرجوا ولم يعودوا! نعم خرجوا من بيوتهم ووافاهم الأجل دون انتظار لعودتهم فما عادوا إلا محمولين على الأعناق لقبورهم، نقلوا فجأة من الفراش اللين الوثير إلى التراب، ومن أنس الأهل والأحباب إلى وحشة القبر وفراق الصحاب. أليست هذه عبرا ومواعظ، وربما أكون أنا أو تكونين أنت في ذلك الموقف الخطير فماذا سنفعل، وكيف بنا إذا بلغت الروح الحلقوم، وفارقنا الأهل والصحاب، ووضعنا في حفرة من تراب، وذهبنا بعملنا لله تعالى ﴿**غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ شَدِيدِ الْعِقَابِ**﴾، وماذا سنفعل إذا جاء ملائكة الحساب وجلسنا للسؤال، ثم كيف بنا إذا خرجنا من القبور وتطايرت الصحف ونصب الصراط ووضع الميزان، جهزي نفسك يا بنيتي واستعدي للسؤال وأعدّي الإجابة إذا سئلت لماذا لم تطيعي أوامر الله، لماذا لم ترتدي الحجاب؟. فهلمي يا بنيتي وفرّي إلى الله، أسرعي إلى رحابه قبل أن يتداركك الوقت، فالجنة تناديك وأبواب التوبة مفتوحة لتلقاك فلا تغلقي الباب دون ولوج ، ماذا يمنعك من الدخول الآن، هلمّي بسرعة قبل أن تُحمَلي على الأعناق وتوارَيْ في التراب.

الجنة تناديك وتدعوك لطاعة الله..

ابنتي.. الجنة تشتاق إليك بعودتك إلى الله فعُودي، والإسلام يريدك قدوة طيبة

فكوني، ويحبك ملتزمة بدينك فالتزمي، وإن طاعتك لربك عمل يضاف للآباء والأمهات فلا تحرمي والديك من هذا الثواب، وصلاحك يا ابنتي سينفعك وينفعهما وينفع المسلمين جميعا، فأطيعي الله لتقرّ عين أمك التي تحبك وأبيك الذي رباك. وأنا على يقين وثقة أنك بعون الله ستتغلبين على شيطان النفس والهوى الذي يأمر بالفحشاء والمنكر، ويجعل الإنسان يسوّف عمل الخير ويؤخره ليصدّه عن ربه ويبعده بمعصية الله، وأنا على ثقة أنك سرعان ما ستراجعين نفسك، وتعلمين أن الحياة الدنيا مهما طالت فهي قصيرة، ومهما استقرت فهي زائلة، وأن متاعها غرور، وأن الآخرة هي الباقية وهي خير وأبقى.

❊❊❊

obeikandl.com

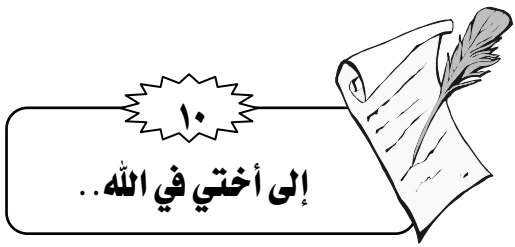

إنها رسالة حب أرسلها لكل من يقرؤها مغلفة بمشاعر فيّاضة لا تقدّر، وحب عظيم في الله عز وجل لا يساويه حبّ، وأخوّة رفيعة القدرلا توزن بمال، ولمَ لا وقد جعلنا الله تعالى جميعا كالنفس الواحدة والجسد الواحد، وحثنا أن يكون كل منا مرآة لأخيه، يرى فيها وجهه الآخر ويلتمس من خلال النظر إليها محاسنه وعيوبه، فما يجمّل أحدنا هو جمال للآخر، وما يعيبه إنما في الحقيقة يعيب الآخر كذلك، لأننا جميعا إخوة كما قال تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠]. وكما قال حبيبنا ﷺ: «**مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى**» [مسلم]. لذا فإنني أودّ ممن يقرأ رسالتي هذه أن يقرأها من جانب الحب الذي يغلفها، وأن يحسن قراءتها، ويحسن الظن بمن كتبتها، والأحسن من هذا وذاك أن ينتفع بما فيها من لمسات المحبة التي تدعو قارئها للارتقاء في العمل والوصول به إلى أعلى الدرجات، وهي أولا وأخيرا رسالة حب!

ها أنا إليك أسوقها..

فَسَمِّ الله تعالى عند قراءتها، واستحضري النية الخالصة لها، ثم انظري بعين قلبك وعقلك لمحتواها وحروفها، وأصغ سمعك لمضمون كلماتها، ولا تملّي أختاه أو تسأمي لطول سطورها، فهي كما قلت لك من قبل إنها رسالة حب.. وها أنا إليك أسوقها «وذكّر فإن الذكرى تنفع المؤمنين».

أختي الحبيبة.. حين خلق الله تعالى المرأة حفظ لها إنسانيتها وجعلها مختلفة عن الرجل، ونأى بها أن تكون مشاعا بين الجميع، وهذا ما لا يدركه الكثيرات من النساء في هذه الأيام حيث ترتفع الأصوات ويزداد لغطها وصخبها وتجري صويحبات تلك

obeikandi.com

الأصوات المخدوعة منادية بالمساواة المطلقة بين الرجل والمرأة! وما ذاك إلا من تلبيس إبليس نعوذ بالله تعالى منه، لكن المرأة المسلمة المكرّمة من فوق سبع سماوات، المتعالية بدينها، الفخورة به، لا تغريها تلك النعرات، ولا تنساق وراء كل ناعق، فقد كفل الله تعالى لها حقها من قبل أن تولد وإلى أن تموت، وإن كان البعض لا يعلم ذلك، وهو إن علمه فقد يفهمه فهما خاطئا، فاته فيه أن المرأة إنما تكمل الرجل والرجل يكملها ولن يتساويا بأي حال، لا شكلا ولا صفة ولا وظيفة.. ﴿وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالأُنْثَى﴾.

أنت الدرة المصونة..

ومن أجل ذلك التكريم شرع الله تعالى للمرأة المسلمة ما تتميز به عن الرجل في لباسها وكذلك عن غيرها من بنات جنسها من غير المسلمات، فهى كالدرة المصونة التي لا تطالها أيدي العابثين ما دامت داخل صدفتها تحتجب، ليس هذا فحسب بل إنها متميزة في كل أمرها، في مشيتها وكلامها، في حركاتها وسكناتها، في زينتها وخمارها، بل في لباسها كله وحجابها، حيث أن ذلك اللباس نزل في قرآن ربها عز وجل، ووصفه لها رسولها ﷺ، ورأته بعين قلبها على زوجاته الطاهرات أمهات المؤمنين- رضي الله تعالى عنهن- خير النساء وهن خير قدوة لها من نساء الأرض جميعا، هذا اللباس المميز له شروط بينها العلماء عند تفسيرهم لآيات الحجاب التي جاء ذكرها في القرآن الكريم، إذ اهتم القرآن بذلك الأمر– أمر لباس المرأة المسلمة – ولم يتركه الله تعالى لهوى النفوس ولا لشهواتها، لكنه عز وجل وهو سبحانه أعلم بالمرأة والرجل شرع لنا ما يصلحنا، فأنزل ذلك في كتابه الكريم فقال لنبيه ﷺ: ﴿يَأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلاَبِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَن يُعْرَفْنَ فَلاَ يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]، وبين أحكام زينة المرأة فقال: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُولِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ

مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

ولست الآن بصدد بيان معنى هذه الآيات أو تفسيرها، وإنني أود فقط أن ترجعي إلى كتب التفسير بنفسك وإلى شيوخنا الأجلاء، لتعلمي المعاني الجليلة التي تضمنتها كل آية، لتتبعي علمك بعد ذلك بالعمل الخالص لوجه الله دون تأجيل أو تسويف، ودون تقديم مبررات لتأخرك مع تقدم المتسابقات من حولك وأنت واقفة تنظرين.

الحجاب فرض فرضه الله تعالى عليك..

قد نتهاون في أمر اللباس أو نعتبره أمرا ثانويا لا تضييق فيه على المرأة فعليها أن تختار ما تلبس، وأن تلبس ما تشاء دون قيود أو ضوابط، وربما نظر البعض للحجاب على أنه من باب التزمّت والتشدد، وهذا وهْم وخطأ، إذ أن الحجاب عبادة وكل عبادة لها ضوابطها وشروط عملها وقبولها، وهذا هو ما دفعني لكتابة هذه الرسالة خاصة بعد انتشار بعض المفاهيم الخاطئة عن الحجاب والمحجبات، ومع تغير الحجاب شكلا ومضمونا، وظهور التكلف فيه حتى أصبح يشكل عبئا هو الآخر على اقتصاد بعض الأسر لفقده سمة البساطة في صنعه، والتواضع في ثمنه، بالإضافة إلى فقده معظم الغرض من ارتدائه، فهو ما كان حجابا إلا لأنه يحجب عورة المرأة عن العيون الطامعة، ويحجب قلبها عن الشر وفعله، وجوارحها عن السوء وأهله، ويحجب المجتمع من المفاسد والفتن التي تنتج عن التعري والسفور والتبرج وقد جاءت شريعة الإسلام تدعو إلى درئها قبل وقوعها حفاظا على المصلحة العامة.

ولا شك أن الحجاب بضوابطه الشرعية يدرأ الكثير من المفاسد عن المرأة نفسها أولا، وعمن حولها في محيط أسرتها ومجتمعها العائلي الصغير، ثم عن المجتمع كله بعد ذلك، لذا فقد فرضه الله تعالى عليها فرضا لا اختيار لها في قبوله أو رده، وأمرها بالالتزام دون تسويف أو تردد، وهذا واجب في كل أمر رباني، لذا فإنه سبحانه ينبهنا ويدعونا إلى الاستجابة لأوامره ويحذرنا من عاقبة العصيان أو التمرد، قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلاَ مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَن يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلاَلاً مُّبِينًا﴾ [الأحزاب: ٢٦]. وعلى ذلك فإن المرأة المسلمة تلتزم بالحجاب تعبدا لله

وطاعة، وإن شق عليها ذلك في حالات ضيقة فعليها الصبر والثبات، فإن الجنة حفت بالمكاره وطريق النار محفوف بالشهوات كما أخبرنا رسول الله ﷺ.

لذا فقد تناول علماء الإسلام في مختلف العصور والأزمان موضوع حجاب المرأة المسلمة باهتمام كبير، ووضعوا له الضوابط والشروط التي استنبطوها من كتاب الله تعالى وسنة رسولنا الكريم ﷺ. وسأذكر لك مثالا واحدا من هؤلاء العلماء وقد عُرف باتباع منهج الإسلام في الوسطية والتيسير، إنه فضيلة الشيخ العلامة يوسف القرضاوي حفظه الله، فاستمعي معي إليه وهو يقول: «وقد حرم الإسلام على المرأة أن تلبس من الثياب ما يصف وما يشف عما تحته من الجسد، ومثله ما يحدد أجزاء البدن وبخاصة مواضع الفتنة منه، والثديين والخصر والإلية ونحوها». وفي الصحيح عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**صنفان من أهل النار لم أرهما: قوم معهم سياط كأذناب البقر يضربون بها الناس، ونساء كاسيات عاريات مميلات مائلات رؤوسهن كأسنمة البخت المائلة، لا يدخلن الجنة ولا يجدن ريحها، وإن ريحها ليوجد من مسيرة كذا وكذا**» [رواه مسلم].

أوصاف اللباس الشرعي..

وها أنا ألخص لك أختي خلاصة ما قاله شيخنا الجليل فقد بيّن أن اللباس الشرعي هو الذي يجمع أوصافا عدة منها:

١- أن يغطي جميع الجسم. عدا ما استثناه القرآن في «ما ظهر منها» [وأرجح الأقوال أنه الوجه والكفان].

٢- ألا يشف ويصف ما تحته، وألا يحدد أجزاء الجسم ويبرز مفاتنه وإن لم يكن رقيقا شفافا كتلك الثياب التي رمتنا بها حضارة الجسد والشهوة - أعني الحضارة الغربية - التي يتسابق مصممو الأزياء فيها في تفصيل الثياب التي تبرز النهود والخصور والأرداف ونحوها بصورة تهيج الغرائز وتثير الشهوات الدنيا، فلابساتها كاسيات عاريات، وهي أشد إغراء وفتنة من الثياب الرقيقة الشفافة.

obeikandl.com

٣- ألا يكون مما يختص بلبسه الرجال، وذلك لأن النبي ﷺ لعن المتشبهات من النساء بالرجال، كما لعن المتشبهين من الرجال بالنساء، ونهى المرأة أن تلبس لبسة الرجل، والرجل أن يلبس لبسة المرأة.

٥- ألا يكون لباسا اختص بلبسه النساء غير المسلمات، فإن قصد التشبه بهؤلاء محظور في الإسلام الذي يريد لرجاله ونسائه التميز والاستقلال في المظهر والمخبر، وقد قال ﷺ: «**من تشبه بقوم فهو منهم**» [أبو داود].

٦- أن تلتزم مع هذا اللباس الوقار والاستقامة في مشيتها وفي حديثها وتتجنب الإثارة في سائر حركات جسمها ووجهها، فإن التكسر والميوعة من شأن الفاجرات لا من خلق المسلمات، قال تعالى: ﴿**فَلاَ تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**﴾ [الأحزاب: ٣٢].

٧- ألا تتعمد جذب انتباه الرجال إلى ما خفي من زينتها بالعطور أو الرنين أو نحو ذلك قال تعالى: ﴿**وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ**﴾. فقد كانت المرأة في الجاهلية حين تمر بالناس تضرب برجلها ليسمع قعقعة خلخالها فنهى القرآن عن ذلك، لما فيه من إثارة لخيال الرجال ذوي النزعات الشهوانية، ولدلالته على نية سيئة لدى المرأة في لفت أنظار الرجال إليها وإلى زينتها. ومثل هذا الحكم ما تستعمله المرأة من ألوان الطيب والعطور ذوات الروائح الفاتحة، لتستثير الغرائز وتلفت انتباه الناس إليها، وفي الحديث: «المرأة إذا استعطرت فمرت بالمجلس فهي كذا وكذا، يعني زانية» [أبو داود]. هذا ملخص كلام الشيخ القرضاوي.

وقد أضاف بعض العلماء على تلك الشروط التي ذكرها الشيخ شروطا أخرى مثل ألا يكون الثوب نفسه زينة. وهذا طبيعي فليس من المعقول أن نستر الزينة بزينة أخرى. وألا يكون لباس شهرة وهي التي من شأنها أن تثير الفخر والمكاثرة والمباهاة بين الناس لقول النبي ﷺ: «**من لبس ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة يوم القيامة**» [رواه أحمد].

وأخيرا.. عليك أن تعلمي أن الحجاب عبادة، والأصل في العبادات التعبد، وما علينا إلا الطاعة فيها لمن شرعها سبحانه وتعالى، والامتثال لمن أمر بها وليس من الضروي معرفة أسرار كل عبادة أو الحكمة منها أو الغرض من شكلها أو كيفيتها فالأصل أنها تؤدى امتثالا لأمر الله تعالى وأنها ابتلاء لعبودية الإنسان لربه، إذ يبتلينا بما لا نعلم سره من التكاليف، وهو سبحانه ﴿لاَ يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣]، وسواء علينا أعرفنا الحكمة منها أم لم ندركها فإنه سبحانه وتعالى جعل في شرعه لنا الخير كل الخير، وفي هذا يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: إن الشريعة مبناها وأساسها على الحكمة ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها، ومصالح كلها، وحكمة كلها.

قفي أختاه وقفة جادة مع نفسك..

أختاه.. انظري لنفسك بالله عليك لتعرفي هل تنطبق هذه الشروط والمواصفات على ما تلبسين من ثياب؟ [أمام غير محارمك من الرجال]، ثم أجيبي بصدق على تلك التساؤلات واستحضري نظر الله تبارك وتعالى إليك:

– من الذي أمرك بالحجاب ولماذا أمرك به، وما سرّ اهتمام القرآن الكريم وكتب الفقه والدين بمسألة اللباس، وما هو مفهوم الحجاب عندك هل هو مجرد غطاء للشعر فقط ولألبس معه ما أشاء؟

– هل لنا العذر في التخلي عن تلك الشروط متى يحلو لنا؟ وما رأيك في الموديلات الجديدة للجلباب في هذه الأيام بما فيه من تطريز وزخارف براقة وزينة لافتة للنظر وتكلف، وضيق وإبراز للمفاتن؟

– هل للأفراح والأعراس لباس خاص تلبسه المرأة المسلمة تختلف شروطه عن تلك الشروط، أم أن الحجاب هو الحجاب في أي وقت ولأي مناسبة؟ وأقصد بالأفراح هنا الأفراح المختلطة التي يكون الرجال فيها والنساء في مكان واحد يرى بعضهم بعضا.

– هل يجوز لي أن أتغاضى عن تلك الشروط لأجل الناس، والموضة، والمناسبات، والتيار السائد، أو حتى أتزوج؟

obeikandl.com

- هل الماكياج وأحمر الشفاه يتناسب مع شروط اللباس الشرعي؟ وهل الشعر العاري أكثر إغراء أم الشفاه المحددة الملونة الحمراء؟ وهل غطاء الشعر بحجاب قصير لا يغطي الرقبة والصدر، مع الغلو والتكلف في زينته، ينطبق على الشروط المذكورة؟

- هل اتخاذ المرأة من البنطلون الضيق والبدلة [الجاكيت] القصير لباسا لها -عند الخروج من المنزل- داخل ضمن مواصفات اللباس الشرعي لها، ولا يخفى علينا أنه يجسم جسد المرأة أثناء حركتها ومشيتها وجلوسها، خاصة إذا كانت البدلة قصيرة لا تغطي الركبة.

- هل يتفق ربط بعض فتياتنا ملابسها حول خصرها وجسدها، وهل ارتداء الملابس الضيقة التي تحدد الصدر والعورة يتفق واللباس الشرعي الذي يريده الله، وما هو دور أولياء أمورهن من الآباء والأمهات تجاه ذلك؟

- هل يؤدي حجابك دوره الحقيقي فيصونك عن المزاح مع الرجال الأجانب، أوالضحك والحديث معهم بلا حدود وتحفظ، وهل يمنع الفتيات عن الصداقة مع الشباب بطريق مباشر - في الجامعة مثلا- أوغير مباشر كما يحدث على النت والمحمول- أم أنه مجرد غطاء للشعر وكفى؟

- هل ربط حجابي - غطاء الشعر- للوراء خلف رقبتي مع إظهار الرقبة بلا غطاء وربما الأذنين أو بعضها وأحيانا القرط المتدلي منها، هل يعد هذا حجابا شرعيا؟ وهل تربية الأظافر وصبغها وتزيينها بالمونكير يصح مع الحجاب وهل يجوز إبداء تلك الزينة في اليد إن كانت المرأة معذورة لا تصلي؟ إن لم تعرفي الإجابة فلا بد من سؤال أهل الذكر في كل ما سبق من هذه التساؤلات لنعبد الله تعالى على بصيرة وبينة.

وفي النهاية أتساءل أين دور الأب المربي، والأم القدوة، والأخ الناصح، والأخت العاملة، والصديقة المعينة، والمعلمة الداعية؟

أين دور هؤلاء جميعا من تلك المظاهر وما مدى المسئولية المعلقة بأعناقهم أمام الله عز وجل يوم القيامة ﴿**يَوْمَ لاَ يَنفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ**﴾.

obeikandl.com

كما أود أن أهمس في أذنك أختاه أن ما ذكرته إنما هو حديث النفس الواحدة لبعض منها، ونجوى الجسد بعضه إلى جزئه الآخر، وإلى قطعة غالية منه، إنه حديث من القلب ربما وصل إلى القلب أو لامس شغافه.

وأختم بما قاله الشيخ العريفي حفظه الله:

كثيرات اللاتي يؤمن أن الحجاب ليس بفرض، ولكن لو تأملنا قليلاً نجد أن الكون كله يتحجب!

الكرة الأرضية عليها غلاف، والثمار الندية عليه غلاف، والسيف يحفظ داخل غمده، والقلم بدون غطاء يجف حبره وتنعدم فائدته ويلقى تحت الاقدام لأنه فقد الغطاء، والتفاحة لو نزعت قشرتها وتركتها فسدت، والموز لو نزعت قشرته انقلب أسود. ترى لماذا تغلف بناتنا كتبهن ودفاترهن؟ إلا لحمايتها، والمرأة زهرة جميلة الكل يشتهي أن يقطفها فلا بد أن نحميها بالحجاب.

❊❊❊

obeikandl.com

إنها إلى صاحب الرسالة العظيمة التي تشبه إلى حدّ ما رسالة الأنبياء.. إلى ذلك المربي الكريم الذي تتخرج على يديه الأجيال جيلا بعد جيل، وينشأ بين أحضانه فلذات الأكباد من مختلف الأعمار.. إلى من يأتمنه الناس جميعا على عقول أولادهم وقلوبهم، وأجسادهم، وأوقاتهم.. إنها إلى المعلم.

إن حجم المسئولية الملقاة على عاتقك كبيرة..

ألا تعرف أيها المعلم أن مسئوليتك كبيرة القدر، وأن الأمانة التي حُمِّلتها ثقيلة الحمل، ذلك لأنها ليست كغيرها من المسئوليات، إذ فيها حياة أمة ورقي مجتمع، وحماية جيل، ونهضة فكر. فهي بناء عقول، وتربية نفوس، وتزكية قلوب. وعلى قدر إخلاصك يتحقق كل ذلك، وإلا كنت كمن «نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا»، أو كالجبال إذا ما صارت هباء منثورا، وكنبات الأرض إذا ما أصبح هشيما تذروه الرياح.

أنت بلا شك مسئول..

وكل من استرعاه الله على رعية فهو مسئول عنها، وكل من كان له ولاية على أحد وجب عليه أن يؤتيه حقه ولا يبخس منه شيئا، ذلك لأن رسول الله ﷺ يقول: «**كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته**» [أحمد].

لذا فقد وجب عليك أيها الراعي أن تكون أمينا على رعيتك من التلاميذ وطلاب العلم الذين جاءوا ليجلسوا بين يديك وينهلوا من علمك الذي آتاك الله إياه، فتنمو عقولهم وتثمر من نوع ما بذرْتَ أنت على أرضها، وتشب على ما لقنتهم إياه، فهم كالأرض الطيبة الخصبة وأنت الغارس فيها، فإذا ما غرست فيهم مع العلم قيم الفطرة وأخلاق الإسلام صاروا الأئمة الأعلام، وإذا ما أحطتهم بالرعاية وشملتهم بالعناية

obeikandi.com

وحصنتهم ضد الأفكار المعدية، ونأيت بهم عن الآفات القاتلة أثمر غراسك فيهم، وقرت عيناك بهم، ورأت عيونهم فيك مثلا وقدوة وقد أخذت بأيديهم وانتشلتهم من أمواج الجهل وظلماته. ألم أقل لك إنك تسير بذلك في طريق المرسلين، حيث كانوا رسلا معلمين أناروا العقول والأبصار، وصححوا المعتقدات والأفكار وارتقوا بالنفوس والقلوب.

ماذا عليك أيها المعلم..

إن عملك بقدر عظمته شاق، وبقدر ثوابه يحتاج إلى دوام صبر ومثابرة، وكبير جهد ومجاهدة، وكل ذلك لا يُطلب إلا من الله تعالى، فسله العون واطلب منه الإخلاص، وتحصن أنت أولا بالعلم الذي يؤهلك لأن تقوم بدورك بفن وإتقان فـ«إن الله تعالى يحب إذا عمل أحدكم عملا أن يتقنه» [البيهقي]. كل في مجال تخصصه، وما أحوج الأمة في هذه الأيام إلى كافة فروع التخصص في كل المجالات العلمية النافعة للبشرية، فالعلوم الشرعية والعلوم الدنيوية يجب أن يخدم بعضها بعضا ويؤازره ويقويه، وهذا واجب أهل العلم الحقيقي، ويوم أن امتزجت علوم الدنيا واصطبغت بالصبغة الإيمانية خدمت دنيا الناس ورفعت من راية الدين.

لذا فإن عليك أن تنمي مداركك وترفع من قدراتك وتزيد من علمك، وتطور من وسائلك، ولا يكون ذلك إلا بحضور الدورات التربوية المتخصصة بانتظام، والاطلاع على الوسائل التعليمية المبتكرة، والتعرف على لغة العصر وكيفية التواصل مع الأجيال الناشئة ليحصل التقارب فيما بينك وبينها، ولا تظن أنك بحصولك على شهادة تخصصك قد وصلت إلى آخر المطاف فتلك هي المقدمة وهذه هي البداية، والعلم بحر لا ساحل له ولا يشبع طالبه حتى يلقى ربه عز وجل.

خطوات نحو النجاح..

- عليك بالإخلاص وحسن الخلق.. وتخلق بأخلاق العلماء من صبر وحلم ورفق ولين وحب ورحمة، وأحسن معاملة طلاب علمك ولا تعنفهم، ولا تعير أحدهم بصاحبه فالأفهام تتفاوت والذكاء هبة وعطية من الله، فلتعرف لكل طالب قدره منه وحاول أن

تنميه فيه وتعامَلْ معه على أساس ذلك.

– حاول أن تعرف دورك الحقيقي.. ولا تظن أخي المعلم أن دورك ينحصر في تفريغ مادة علمك وصبها في عقول التلاميذ صبا يخرون عليه معها صُمّا وعميانا، فيحفظون العلم عن ظهر قلب بلا فهم، ويحتفظون به حتى يصبونه بدورهم على ورقة الامتحان وكأنهم يتخلصون منه إلى الأبد! إن دورك أخي المعلم هو أسمى من ذلك بكثير.

– كن قدوة طيبة لمن تعلمهم.. ليكون لك هيبة في نفوسهم وتأثير في سلوكهم، فلا تنههم عن خلق وتفعله، ولا ترغبهم في خير وتتركه، ولا تتطلع إلى احترامهم لك وتوقيرك دون خلق حسن منك، والمعلم له تأثير كبير على التلاميذ في سن الطفولة لا ينكره أحد، أما في سن الشباب فما أجمل أن يتخذ من طلابه أصدقاء ويبني معهم جسورا من الصداقة.

– ارفع من قدراتك.. وتعلم من المعلم الأعظم ﷺ.. ولو حاولت أن تتبع خطى معلمك العظيم محمد ﷺ في طرق تعليمه لوجدت مثالا رائعا، وحق على كل معلم أن يقتدي به، فهو ﷺ علمنا الابتكار في الوسائل التعليمية فتارة يعلم بالقصة وتارة يضرب المثل، ومرة يطرح السؤال، وأخرى يشوّق ويرغب، وأحيانا يلقن وقبل كل ذلك يبين للمتعلم فضل ما يقوم به من طلب العلم، ويحثه على الاستمرار فيه، وهكذا فمن كان معلما لا بد وأن يقرأ في سيرة النبي المعلم الأعظم ﷺ.

– لا تشتم مهما تكن الأسباب.. فأنت قدوة وكل حركة وكلمة محسوبة عليك مكتوبة في أذهان طلابك منقوشة في عقولهم، فتخير في حديثك معهم أطايب الكلام فلا يليق بك وبمكانتك كمعلم أن تنطق بسفه القول. وقد يأتي التلميذ أول مرة إلى المدرسة فرحا مسرورا فيفاجأ بسوء المعاملة من أول يوم، بل إن إنني أعرف أحدهم ذهب في يومه ذاك وهو سعيد بزيه المدرسي وحقيبته الجديدة ودخوله المدرسة لأول مرة في حياته، ذهب وكله شوق وحب يُمَنّي نفسه بجوّها الرائع، وأصدقائه الجدد ومدرّسه الحنون، وأراد منه معلمه شيئا والطفل صغير لم يفهم مراده فما كان من المعلم إلا أن قال له قم يا [...] وكان يوما مشهودا في ذاكرة ذلك الطفل المسكين كره معه المدرسة والدراسة بل والمدرسين!

– ابتعد تماما عن الضرب.. ولا تكن قاسيا وتذكّر القصاص منك على رؤوس الأشهاد، فإن من الآفات التي ابتيلينا بها في هذه الأيام مع ضغوط أعباء الحياة على المعلم وطغيان المادة، آفة الضرب التي يمارسها بعض المعلمين والمعلمات مع التلاميذ، وقد يحدث أن يخطيء التلميذ فيصر المعلم على تأديبه كما يظن فيضربه لتكون الضربة القاضية التي تقضي على حياة الطفل الضحية وتقضي معه على مستقبل المعلم الشاب الذي يصير قاتلا ولو عن طريق الخطأ. ألم يعلم أن النبي ﷺ قال: «**لا عقوبة فوق عشر ضربات إلا في حد من حدود الله**» [البخاري]. ولا يعني ذلك أن تضربه عشر ضربات فأقل، كلا، فإن قدوتك في التعليم صلى الله عليه وسلم لم يفعل ذلك قط وأنه ﷺ كان أفضل معلم للناس جميعا على مختلف أعمارهم ومستوياتهم وأفهامهم ولم يك ضاربا قط. ثم ألا يخشى هؤلاء من القصاص يوم القيامة، وهل سيتعلم الطفل بالضرب أم أنه سيكبر معه الخوف والخور وحب الانتقام والعنف، وينمو في نفسه الشعور بالظلم والنقمة على من ظلمه، وبالتالي التمرد على معلمه وكراهيته، بل وكراهية العلم الذي يقدمه له، والدعاء عليه بظهر الغيب.

– كن دقيقا في مواعيدك.. واحرص على الذهاب في الوقت المحدد، ولو لم يعلم مديرك بتأخرك فإن الله تعالى يراك ولا تخفى عنه خافية، كذلك ولا تنصرف قبل انتهاء دوامك، فالله تعالى يحب منا الوفاء بالعقود ولا تتعلل بقلة الراتب الذي تقبضه فقد قبلت العمل وتعاقدت على هذه الشروط وعليك الوفاء بها.

– كن أمينا في تبليغ رسالتك.. فليس لك عذر في التخلي عن واجبك في إيصال المعلومة للطلاب والتفنن في طرق ذلك، وإن فعلت وتخليت أو قصرت فقد خنت الأمانة وخالط مالك شبهة الحرام، وسيسألك الله تعالى عن الدرهم والدينار من أين اكتسبته فأعدّ الإجابة لذاك السؤال.

– لا تتخذ من الدروس الخصوصية بديلا للطلاب.. وهذه آفة من الآفات السيئة التي سادت بعض المجتمعات العربية بل والتي أصبحت صفة سائدة وملازمة للطلاب خاصة أصحاب الشهادات منهم، وليتها إذ وُجدت كانت محدودة بأجر ميسر ومخصصة

في بعض المواد الصعبة، بحيث تساعد المدرسة في دورها ولا تلغيه تماما كما يحصل في بعض المدارس. وفي ظني لو أن كل معلم قام بواجبه بأمانة وأتقن عمله وأخلص فيه، فلن يحتاج أحد إلى الدروس الخصوصية إلا القليل النادر، ولا يخفى على أحد ما ينتج عنها من إرهاق لميزانية كل أسرة خاصة الأسر الفقيرة التي لا يشفع لها فقرها عند المعلم، كما أن هذه الدروس تقطع حلقة التواصل بين معلم المدرسة والطالب، وبين المدرسة والبيت، وتورث الفوضى في الصرح التعليمي، ولا يكون للمدرسة أهمية في نظر الطلاب، حيث لا بد لهم من البديل المفروض عليهم وهو الدروس الخصوصية.

وأخيرا أيها المعلم.. احتسب أجرك وعملك عند الله.. لأنك مهما كان راتبك فهو ضئيل بجانب مسئوليتك الكبيرة ودورك العظيم إذا كنت تقوم به حق القيام، أما أجرك الحقيقي فهو عند الله الكريم المنان الذي يعطي بلا حساب، وستجده لا ريب في يوم أنت أحوج ما تكون فيه إليه، فإن «من دل على خير فله مثل أجر فاعله» [مسلم]. وأبشر بقول رسول الله ﷺ: «**إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاث: صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له**» [البخاري].

***

obeikandl.com